

## المطلب الأول: عمارة المسجد الحرام

## أولاً-فضل عمارة المساجد عموماً والمسجد الحرام خصوصاً

إنَّ عمارة المساجد من أوضح علامات الإيمان، قال تعالى {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين} (1)، فهذه الآية ذكرت فضيلة من يعمر المساجد وأثبتت له أموراً:

أ-إنَّه مؤمن حقاً، قال القرطبي: (قوله تعالى "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ" دليل على أنَّ الشهادة لعمَّار المساجد بالإيمان صحيحة لأنَّ الله سبحانه ربُّه بها وأخبر عنه بملازمتها) (2).

قلت: وفيه ردُّ على من يكفر السلاطين في بلاد الحرمين؛ لأنَّ هذه الآية شهدت بالإيمان لمن يعمر عامَّة المساجد فكيف بمن يعمر أعظم مسجدين على وجه الأرض؟! لا شك أنَّ إيمانه أقوى وأؤكد. ب-إنَّه يخشى الله.

ج-إنَّه من المهتدين، قال القرطبي: ("عسى" من الله واجبة) (3).

كما وردت الأحاديث الشريفة في الترغيب بعمارة المساجد، عن عثمان بن عفان قال: سمعتُ رسول الله يقول: [مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ] (4).

قلت: فإذا كان هذا في عموم المساجد فإنَّه يُضاعفُ في المسجد الحرام؛ لقوله ع: [وَحَسَنَاتِ الْحَرَمِ: الْحَسَنَةُ بِمِائَةِ أَلْفٍ] (5).

كما تبيَّن لي أنَّ من يخدم المسجد الحرام فإنَّ الله سبحانه يَمُنُّ عليه بمنح كثيرة أبرزها: أ-إنَّ الله تعالى يُبْقِي له أثره ولا يُعْقِيه، كما أبقي أثر سيدنا إبراهيمؑ وهو المقام الذي بقي عبر آلاف السنين، لأنَّه خَدَمَ البيت الحرام وبناه.

ب-إنَّ الله يحفظ ذُرِّيَّتَه كما حفظ سيدنا إسماعيلؑ من الذبح ونجَّاه، كرامة لوالده سيدنا إبراهيمؑ.

(1) سورة التوبة، آية: 18.

(2) القرطبي، تفسير: 58/8.

(3) المصدر نفسه: 58/8.

(4) البخاري، الصحيح: 172/1 رقم 439، ومسلم، الصحيح: 2287/4 رقم 532.

(5) ابن خزيمة، الصحيح: 244/4 رقم 2791، والطبراني، المعجم الأوسط: 122/3 رقم 2675، والمعجم الكبير: 105/13 رقم 12606، وصححه الحاكم المستدرك على الصحيحين: 631/10 رقم 1692.

ج- يُنَجِّي اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّدَائِدِ، كَمَا نَجَّى سَيِّدَنَا إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْعَطَشِ وَالْهَلَكَةِ وَبَعَثَ لَهُمَا جَبْرِيلَ ٥ فَأَنْبَعَ لَهُمَا زَمْزَمٌ.

د- يجعل الله ذُرِّيَّتَهُ مَبَارَكَةً وَيَبْقِي نَسْلَهُ، كَمَا مَلَأَتْ ذُرِّيَّةُ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ مِنْ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةَ وَكَانَ خِيَارَ خِيَارِهَا، وَدَرَّةَ صَدَفَتِهَا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

**-ثانياً: عمارة المسجد الحرام**

قال الزمخشري: (ت: 538هـ): (العمارة تتناول رَمَّ ما اسْتَرَمَّ منها [أي المساجد] وقَمَّها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها للعبادة والذكر)<sup>(1)</sup>.

ونحن نقصدُ بالمسجد الحرام هنا: البناءُ الموجود حول الكعبة المشرفة، وأوّل مَنْ بناه سيدنا عمر بن الخطاب ٣، وما يخصّ دراستنا من هذه العمارات والتوسعات، هو ما كان موجوداً في العهد العثماني، وما حصل في العهد السعودي.

-أولاً: في العهد العثماني والهاشمي: وقع في المسجد الحرام حريقٌ سنة 802هـ في مدّة السلطان برقوق سلطان مصر، فعَمَّرَه السلطان برقوق وسَقَّفه بالخشب الساج كما كان، وتكرّر فيه الترميم والإصلاح، وصار فيه وَهْنٌ وخراب، فعرض ذلك على السلطان سليم فصدر أمره بهدمه وتجديده وأن لا يُسَقَفَ بالخشب بل يجعل سقفه قِيباً، فكان الشروع في ذلك سنة 979هـ، ثمّ توفي السلطان سليم سنة 982هـ قبل إتمام التعمير، فأتمّه ابنه السلطان مراد الثالث، وكان الفراغ من تعميره سنة 984هـ<sup>(2)</sup>، ولا زال البناء العثماني موجوداً إلى اليوم وهو المسقف بالقباب.

وكان ذرْع المسجد الحرام الآتي: ضلْعُ المسجد الحرام الشمالي المقابل للحطيم 164م، وطول الضلع الجنوبية المقابلة للأولى 166م، وضلعه الشرقية التي فيها باب السلام 108م، والغربية طولها 109م، فيكون سطحه من الداخل إلى الحصوة 17902م، وأمّا من الخارج فمتوسط طولها 192م وعرضه 132م<sup>(3)</sup>.

(1) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، ط2، القاهرة، 1373هـ/1953: ج2/ص254.

(2) الأزرق، أخبار مكة: ملحق رقم 2: 307-308.

(3) المصدر نفسه: ملحق رقم 1: 308/2.

وكان عدد أساطينه من شقه الشرقي 88 أسطوانة رخام ما عدا أسطوانة واحدة في الصف الأوسط عند باب علي، فإنّها بنيت بالآجر والنورة على شكل الأساطين الرخام<sup>(1)</sup>.

وكان منها في الجانب الشمالي 104 أسطوانة رخام، ما عدا أربع عشرة أسطوانة في آخر الصف الأوسط ممّا يلي باب الباسطية وباب العتيق، فإنّها كانت من الحجر الصوان المنحوتة<sup>(2)</sup>.

وكان منها في الجانب الجنوبي 140 أسطوانة من الرخام ما عدا 25 أسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند باب أم هانيء فإنّها كانت من الحجر الصوان المنحوت<sup>(3)</sup>.

وكان من الجانب الغربي 87 أسطوانة كلّها من الحجر الصوان المنحوت<sup>(4)</sup>.

وكل هذه الأساطين المعمولة من الحجر الصوان المنحوت عُملت بعد الحريق الذي وقع في المسجد الحرام سنة 802 هـ حيث ذهب الحريق بـ 130 أسطوانة من الرخام، وأما الأساطين التي كانت في زيادة دار الندوة فمجموعها 66 أسطوانة بنيت كلها بالحجر والنورة في جوانب تلك الزيادة الأربعة<sup>(5)</sup>.

وأما الأساطين التي كانت في زيادة باب إبراهيم فكان مجموعها 27 أسطوانة منها في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام 17 أسطوانة من الحجر المنحوت صفيّين متصلين بالمسجد الكبير واثنان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل للقبلة من الباب المذكور، واثنان لاصقتان برباط الخوذي على يسار المستقبل للقبلة، وفي الجانب الشمالي ستة أساطين واحدة منها لاصقة بجدر الإيوان الغربي، وفي الجانب الجنوبي 6 أساطين، واحدة منها لاصقة بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة وليس في الجانب الغربي من هذه الزيادة أسطوانة واحدة، ولم يوجد به غير الباب فقط<sup>(6)</sup>.

أما القباب فعَدَّها 152 قبة منها في شرق المسجد الحرام 24 قبة وفي الجانب الشمالي 36 قبة، وواحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة، وفي زيادة دار الندوة 16 قبة، وفي زيادة باب إبراهيم 15 قبة، وفي الجانب الغربي 24 قبة، وفي الجانب الجنوبي 36 قبة<sup>(7)</sup>.

(1) المصدر نفسه: 308/2، 1.

(2) المصدر نفسه: 308/2، 1.

(3) المصدر نفسه: 308/2، 1.

(4) الأزرق، أخبار مكة: 309/2 ملحق رقم (1).

(5) المصدر نفسه: 309/2 ملحق رقم (1).

(6) المصدر نفسه: 309/2-310 ملحق رقم (2).

(7) المصدر نفسه: 309/2-310 ملحق رقم (2).

وفي عهد الحسين بن علي تطرّق الخلل إلى بعض أعمدة المسجد فأمر ببناء غيرها وأصلح من بعض أرض المسجد وجداره، وعُني بإضاءته في عام 1335هـ بالنور الأبيض (الأتاريك) لأول مرّة في التاريخ، وفي عام 1338هـ أسس أول ماكينة للكهرباء فأُنير بها المطاف، وبعد عامين أمر بشراء أكبر منها للإنارة المطاف، وبعض جهات المسجد<sup>(1)</sup>.

### ثانياً- في العهد السعودي الزاهر

أ- في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله: وسندرس الحالة العمرانية في هذا العهد من جانبين:  
الأول: عمارة المسجد الحرام.

والثاني: توسعته.

منذ أن تسلّم الملك عبد العزيز رحمه الله زمام الأمور في بلاد الحرمين الشريفين أولى المسجد الحرام عناية خاصّة ترميماً وتعميراً وتنظيماً وأهم أعماله:-

1- في سنة 1344هـ أمر بترميم المسجد الحرام ممّا يحتاج إلى ذلك من الجدران والأعمدة والمطاف والمشايات المؤدية إليه وعموم أساطين المطاف التي تعلّق عليها القناديل وعموم الأبواب وبطلاء مقام إبراهيمؑ بالدهن الأخضر<sup>(2)</sup>.

2- جمع المصلين في المسجد الحرام خلف إمام واحد في سنة 1345هـ حيث كان الناس يصلّون في مقامات أربعة ولكل مقام إمام من المذاهب الأربعة، فكانت تقام في كل صلاة أربع جماعات تبعاً لهذه المقامات، فرّد الأمر إلى إمامة إمام واحد لجميع المصلين توحيداً لكلمة المسلمين وجمعاً لقلوبهم، ثمّ لما وُسّع الصحن المطاف هدمت المقامات وأزيلت تماماً<sup>(3)</sup>.

قلت: إنّ هذه الخطوة الجليلة لها أجرٌ عظيم، وهي من باب السير على نهج الراشدين لأنّ سيدنا عمر بن الخطابؓ لما خرج إلى المسجد في ليلة من رمضان فوجد الناس متفرّقين منهم من يُصلي التراويح وحده، ومنهم من يصلي بفئة قليلة قال: (إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثمّ عزم

(1) السباعي، تاريخ مكة: 700/2.

(2) السبيل، رعاية الحرمين: 15.

(3) المرجع نفسه 15، وينظر: المباركفوري، تاريخ مكة: 92-93.

فجمعهم على أيّ بن كعب<sup>(1)</sup>، فإذا جاز هذا الأمر مع سُنّة التراويح، فهو يجوز من باب أولى في الفرائض.

ولسنا بذلك نرمي إلى إلغاء التعدّد المذهبي-ونريد هنا المذاهب الأربعة-بل على العكس إننا نرى هذا التعدد الشكلي رافداً عظيماً من روافد حياة الشريعة الإسلامية، والأولى كما أراه-أن تُدرّس المذاهب الأربعة في المسجد الحرام كأن يختصّ كلّ عالم بتدريس مذهب من المذاهب، أو يُدرّس أحد العلماء المذاهب الأربعة، لأنّ الاقتصار على مذهب واحد تقييد للفكر وتحجير للواسع، وسبيل إلى الجمود، ولكننا رغم ذلك كلّهُ نرى أنّ الصواب في مسألة الإمامة تحديداً أن تكون واحدة؛ لأنّ الصلاة علامة للوحدة، فينبغي أن تكون تلك العلامة بارزة والإمامة وإقامة الصلاة واحدة. والله أعلم.

3- وفي أوائل سنة 1346هـ أمر الملك عبد العزيز رحمه الله بإصلاح آخر للمسجد الحرام فَرَمَّمْ عموم فَرَشِ الأروقة من جهاتها الأربعة، وفرش عموم المماشي، وغير بلاطات الأبواب والجدران داخلاً وخارجاً، وأصلح كل خرابٍ واقع في أبواب المسجد الخشبية، وطلّي كلّ ما كان مطلياً بأنواع الأصبغة، ومسح عموم اسطوانات الرخام، وفرش أفنية المسجد بالحصباء الجديدة، واستمر العمل سنة كاملة وصُرف عليه ما يربو على ألفي جنيه ذهباً<sup>(2)</sup>.

4- لما كثّر ورود الحُجّاج في سنة 1345هـ كثرة هائلة حتى ضاق المسجد بالحجاج والمصلين وضعت الحكومة سُرادقات في صحن المسجد ليجد المصلون مكاناً مظلاً يتوقون به حرّ الشمس، ثم في سنة 1346هـ أصدر الملك عبد العزيز أمره بعمل مظلات قويّة ثابتة على حاشية صحن المطاف، فعُملت من الخشب الجاوي، وكُسي بالقماش الثخين الأبيض<sup>(3)</sup>، ثمّ عُمِلت مظلات ثابتة في أطراف الصحن مثبتة بالأروقة تُفّتح وتُغلق، فكانت تُنشر إذا انتشر حرّ الشمس وإذا انحسر الظلّ أُغلقت، وبقيت سنوات طويلة تجدد عند الحاجة<sup>(4)</sup>.

(1) البخاري، الصحيح: 707/2 رقم 1906 بنحوه، والامام مالك، الموطأ: 114/1 رقم 250، والبيهقي، السنن الكبرى: 293/2 رقم 4379 واللفظ له.

(2) السبيل، رعاية الحرمين: 15-16.

(3) السبيل، رعاية الحرمين الشريفين: 16.

(4) المرجع نفسه: 16.

5- وكانت المقاهي تنتشر عند أبواب المسجد الحرام فرأى رحمه الله بقاءها في أماكنها لا يتفق وحُرمة المسجد الحرام فأمر بإزالتها فأزيلت<sup>(1)</sup>.

### التوسعة السعودية الأولى

وقفت مساحة المسجد الحرام عند الحد الذي بلغته منذ 1069 سنة في عهد المقتدر، ولكن البناء حوله لم يقف عند حد بل ظل يزحف إليه حتى اتصلت به المنازل<sup>(2)</sup>.

وهكذا كانت الحال بالنسبة للمسعى، فقد فصلت المباني الخاصة بينه وبين المسجد الحرام وأصبح على مرّ العصور، طريقاً ضيقاً تقوم على جانبيه الحوانيت تملؤها السلع المختلفة وترتفع فوقها المساكن طبقات<sup>(3)</sup>.

هذه المساحة التي ظل المسجد الحرام محدوداً فيها-إن كانت تتسع في الماضي لبضع عشرات من ألوف الحجاج في كل موسم أيام لم تكن للسفر وسائل غير الحيوان وسفن الشراع-فإنها بدأت تضيق بالوافدين منذ أن تغيرت تلك الوسائل إلى بواخر سريعة وطائرات وسيارات فازداد بسبب هذا التغيير-الإقبال على الحج وأصبح عدد الوافدين في كل موسم يزيد عن سابقه، وبدأ أروقة المسجد الحرام ورحابُه تضيق بهم في أوقات الصلاة وخاصة في أيام الجمع حيث يضطرّ كثيرٌ منهم لأداء فريضتها في الطرقات والأزقة المحيطة بالحرم<sup>(4)</sup>.

فأمر الملك عبد العزيز بإجراء الدراسات ووضع التصاميم لتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي، فوضعت التصميمات أولاً للمسجد النبوي الشريف وشرع ببناؤه، وبُدئ بوضع التصاميم الأولى لتوسعة المسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز وتمّت التصاميم في أوائل عام 1375هـ أي بعد وفاته، في عهد الملك سعود رحمه الله<sup>(5)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 16.

(2) المباركفوري، تاريخ مكة: 85.

(3) الأزرق، أخبار مكة: ملحق رقم (5): 332/2.

(4) الأزرق، أخبار مكة: ملحق رقم (5): 332/2.

(5) السبيل، رعاية الحرمين: 20.

وكان تصميم المسجد الحرام في أول أمره من جميع المهندسين مبنياً على أن يُزال المبنى العثماني نهائياً بعد البناء الجديد وإنما يُترك لأداء الصلوات ريثما يتم بناء النصف الخارجي من المبنى الجديد، وبعد تمام بناء هذا الجزء يُهدم المبنى، ثم أدخل تعديل كبير في التصميم والتخطيط<sup>(1)</sup>.

وفي يوم 4/ربيع الثاني عام 1375هـ بُدئ بأعمال التوسعة بإزالة المرافق القائمة في منطقتي أحياء والمسعى وهدمت الدور والدكاكين المحتاج إلى هدمها واستمر العمل على أربع مراحل ببناء ثلاثة طوابق: الأقبية (البدرومات)، والطابق الأرضي والطابق الأول حتى تمت التوسعة<sup>(2)</sup>.

وتضمنت هذه التوسعة بناء المسعى بطابقيه، وتوسعة المطاف بجعل بئر زمزم في القبو، وتحسين مبنى زمزم في القبو، وتركيب الصنابير، وبناء مجرى للماء المستعمل، وأزيلت بعض المباني التي كانت في صحن المسجد والتي كانت تعيق المصلين والطائفين مثل مظلة زمزم وباب بني شيبه والمقامات الأربعة، كما شملت تحويل مجرى مياه الأمطار بين جبل الصفا والمبنى العثماني وتحويل الطريق من المسعى إلى شارع الملك سعود بن عبد العزيز الذي أحدث في التوسعة وتحسين الخدمات الداخلية مثل توفير مياه الشرب والإنارة<sup>(3)</sup>.

وحصل إحداث للميادين والشوارع الفسيحة ومواقف للسيارات، ودورات للمياه ومواضع للوضوء قريبة من المسجد الحرام في جميع جهاته على أحدث نظام عُرف في ذلك الوقت بصورة أوسع بكثير مما كان في السابق<sup>(4)</sup>.

وقد تمت التوسعة في الجانبين الغربي والشمالي فتمّ فيهما مثل ما تمّ في القسم الجنوبي، وزيد عدد الأبواب فأصبحت (51) باباً ما بين صغير وكبير، وأنشئت سبع مآذن عوضاً عن المآذن السبع القديمة التي هُدمت في التوسعة<sup>(5)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 22-23.

(2) المرجع نفسه: 23.

(3) السبيل، رعاية الحرمين: 23-24.

(4) المرجع نفسه: 24.

(5) المباركفوري، تاريخ مكة: 87.

وقد بلغت الزيادة في التوسعة السعودية الأولى 153000م<sup>2</sup> وتبلغ مساحة المسجد 180850م<sup>2</sup>، وبذلك تكون مساحة المسجد قد تضاعفت ست مرّات، إذ كانت المساحة قبل التوسعة 27850م<sup>2</sup> فقط<sup>(1)</sup>.

وقد جاء بناء التوسعة قوياً وجميلاً فقد حُشيت الجدران بالمرمر، السقوف والعقود بالحجر الصناعي ليكون المسجد الحرام تحفة معمارية رائعة<sup>(2)</sup>.

واستغرق العمل نحو عشرين سنة وبلغت التكلفة الاجمالية 1000000000 ريالاً، وتشرف بالعمل في هذه التوسعة أكثر من 55000 فني وعامل ضمن شركة بن لادن<sup>(3)</sup>، وصار المسجد يتسع لأكثر من 300000 مصلي في وقت واحد، يؤدّون صلاتهم في سعة واطمئنان، وبإمكانهم مشاهدة الكعبة المشرفة مهما بعدت أمكنتهم<sup>(4)</sup>، وأمّا في حالات الزحام الشديد فيمكن أن يتسع المسجد لأكثر من 400000 مصلي<sup>(5)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنّ تلك التوسعة كانت بأمر الملك عبد العزيز رحمه الله وبدأت فعلياً في عهد الملك سعود، واستمرت إلى عهد الملك فيصل، وكان آخرها في عهد الملك خالد رحمهم الله جميعاً. ب- في عهد الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله

وسار الملك خالد على خطى سلفه في رعاية المسجد الحرام وكان أبرز أعماله:

أ- إتمام ما تبقى من عمارة المسجد الحرام وتوسعته وذلك في 7/ رجب عام 1396هـ<sup>(6)</sup>.

ب- توسيع المطاف بشكله الحالي توسعة أكبر ممّا سبق وذلك في سنة 1398هـ، وشملت هذه التوسعة إلغاء الحصاوى والمشايات التي كانت في المسجد، ونقل المنبر والمكبرية وتوسيع قبو زمزم، وجعل مدخله قريباً من حافة المسجد القديم في جهة المسعى، وجعل فيه قسمان: قسم للرجال، وقسم للنساء، وزكّبت صنادير لشرب الماء البارد، وجعل للبئر حاجز زجاجي، وبُلطت أرض المطاف برخام بارد مقاوم للحرارة جُلب من اليونان ممّا هيأ الراحة والاطمئنان للمصلين والطائفين في الظهيرة، ووهج الشمس<sup>(7)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 87.

(2) المرجع نفسه: 87.

(3) عبد الغني، تاريخ مكة: 94.

(4) الأزرق، أخبار مكة، ملحق رقم (5): 3403/2.

(5) السبيل، المرجع السابق: 29.

(6) السبيل، رعاية الحرمين: 27.

(7) المرجع نفسه: 27-28.



ج- في عهد الملك فهد رحمه الله وقصة التوسعة الكبرى

كان من عادة الملك فهد أنه يقضي النصف الأخير من رمضان في مكة المكرمة مجاوراً للبيت العتيق، كما كان يخصص أياماً أخرى يقضيها في المدينة المنورة يتابع خلالها الأوضاع والمشاريع في هاتين المدينتين المقدستين<sup>(1)</sup>.

فقد أمر بتجهيز سطح المسجد الحرام للصلاة وذلك بِفَرْشِهِ بِرُخَامٍ بارد، وتزويده بنظام صوتي، بالإضافة إلى الإضاءة والسلام المتحركة في مختلف الجوانب وقد نُقِدَ ذلك في سنة 1406هـ- 1986م بتكلفة 300000000 ريالاً، فكأنه أُضيف إلى المسجد دورٌ بأكمله، وتبلغ مساحته 42000م<sup>2</sup> يستوعب نحو 105000 مصلٍ في أوقات الذروة<sup>(2)</sup>.

التوسعة السعودية الثانية

في عام 1403هـ أمر الملك فهد رحمه الله بنزع ملكيات عقارات السوق الصغير الواقعة غرب المسجد الحرام تهيئةً للتوسعة الكبرى للمسجد الحرام التي أمر بها<sup>(3)</sup>.

وقد وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام وعمارته في 2/ صفر 1409هـ- 1988م، وانتهى العمل رسمياً في ذي القعدة 1413هـ- 1993م<sup>(4)</sup>.

وهذه التوسعة عبارة عن مبنى بين باب العمرة وباب الملك عبد العزيز، ومساحتها السطحية الأساسية 19000م<sup>2</sup> يتكون منها بدروم، ودور أرضي ودور علوي، والسطح، فمجموع المساحة المبنية والمهيئة للصلاة تصبح  $4 \times 19000 = 76000$ م<sup>2</sup><sup>(5)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنه رُوعي في الأساسات أن تتحمل دوراً فوق الدور الأول عند الحاجة إليه، وقد أنشئت ثلاث قباب فوق السطح لتغطي فناء الدور الأرضي والأول، وتشغل كل قبة مساحة  $15 \times 15$ م = 225م<sup>2</sup> وبارتفاع حوالي 13م، وأضيف مبانٍ للسلام المتحركة على جانبي التوسعة للصعود إلى الدور الأول والسطح، ويبلغ عدد الأعمدة في كل طابق 530 عموداً، وفي قواعدها فتحات

(1) المرجع نفسه: 38.

(2) عبد القني، تاريخ مكة: 94.

(3) السبيل، رعاية الحرمين الشريفين: 47.

(4) عبد القني، المرجع السابق: 94.

(5) المرجع نفسه: 94-95.

للتكليف<sup>(1)</sup>، وقد كُست الأعمدة بالرخام الأبيض الناصع كما كُست أرضها بالرخام الأبيض، وأما الجدران فكُست من الخارج بالرخام الأسود الممَّوج والحجر الصناعي وكذلك من الداخل مع تزيينها بزخارف إسلامية جميلة<sup>(2)</sup>.

وفي المخطط التالي تفصيلات أكثر عن تلك التوسعة:

أ- الساحات حول المسجد: مساحتها وطاققتها<sup>(3)</sup>

ساحات شرق المسعى بالقشاشية	ساحات السوق الصغير	ساحات الجهة الشامية	إجمالي مساحة الساحات	الطاقة الاستيعابية للساحات
46000م <sup>2</sup>	28000م <sup>2</sup>	14000م <sup>2</sup>	88000م <sup>2</sup>	220000 مُصل

ب: بعض الخصائص الإنشائية في التوسعة السعودية الأولى والثانية<sup>(4)</sup>.

ارتفاع السرداب	ارتفاع الطابق الأرضي	ارتفاع الطابق العلوي	ارتفاع الواجهات الخارجية	ارتفاع الماذن التسع	العدد الإجمالي للمدخل	المباني الخارجية للسلام
4م	9م80	9م64	20م96	89م	95مدخلاً	7سلام

ج- مساحة المسجد الحرام والطاقة الاستيعابية<sup>(5)</sup>

(1) المرجع نفسه: 95.  
(2) السبيل، رعاية الحرمين: 48.  
(3) عبد الغني: تاريخ مكة: 96.  
(4) المرجع نفسه: 96.  
(5) عبد الغني، تاريخ مكة: 96.

التسلسل	البيانات	المساحة	المجموع	الطاقة الاستيعابية	المجموع
1	مساحة المسجد قبل التوسعة السعودية الأولى (المطاف + البناء العثماني)	29000م <sup>2</sup>	29000م <sup>2</sup>	50000مصل قبل إزالة المباني في المطاف	72000مصل بعد إزالة المباني في المطاف
2	التوسعة السعودية الأولى (بدروم + الدور الأرضي + الدور العلوي)	131000م <sup>2</sup>	160000م <sup>2</sup>	327000مصل	399000مصل
3	تقنية سطح التوسعة للصلاة سنة 1406هـ	42000م <sup>2</sup>	202000م <sup>2</sup>	105000مصل	504000مصل
4	التوسعة السعودية الثانية (بدروم + الدور الأرضي + الدور العلوي + السطح)	76000م <sup>2</sup>	278000م <sup>2</sup>	190000مصل	694000مصل
5	تقنية الساحات المحيطة بالمسجد الحرام	88000م <sup>2</sup>	366000م <sup>2</sup>	220000مصل	914000مصل وفي أوقات الذروة أكثر من مليون مصلي.

وقد أصبح عدد الأبواب 95 باباً بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين بما فيها مداخل البدروم والدور الأرضي والأول والسلام وعبارات المسعى والجسور التي في الجهة الشامية وذلك بدءاً من باب الملك عبد العزيز برقم (1) ونهاية إلى آخر باب في مبنى توسعة خادم الحرمين الشريفين يحمل

رقم(95)واسم سلم الملك عبد العزيز،وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك أبواب فتحت مؤخراً وهي غير داخلية في هذا التقييم منها مدخل عبارة بجانب باب بني شيبه في المسعى،وأبواب فتحت بالمرّوة<sup>(1)</sup>.  
وأما الخدمات الأخرى فكانت الآتي:-

**1-السلام المتحركة:**وفي عهد خادم الحرمين الشريفين تمّ تركيب السلام المتحركة لخدمة رواد الدور والسطح،وهي سبعة موزعة حول المسجد كالتالي:عند باب أجياد والصفاء،وعند المروة،وباب الفتح،والشامية وعلى جانبي التوسعة الثانية،وكل منها مزود بأربع مسارات ضمن مبنى مساحته 375م<sup>2</sup>،وينقل كل سلم منها 1500شخصاً في الساعة الواحدة،وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك عدد من المصاعد الكهربائية داخل مبنى المسجد<sup>(2)</sup>.

**2-محطة التكييف:**أنشئت محطة لتكييف وتلطيف جو التوسعة الثانية والدور الأرضي من المسعى على بُعد نحو 600م من المسجد الحرام بشارع أجياد ضمن بناء مكّون من ستة أدوار يضمّ أحدث نُظُم لتبريد الهواء،ونفق الخدمات يقوم بربط المحطة مع وحدات مناولة الهواء في مبنى التوسعة،والتي تقوم باستقبال وتوزيع الهواء البارد على مخارج الهواء في قواعد الأعمدة<sup>(3)</sup>.

**3-إمداد الحرم بالكهرباء:**تُدار الأجهزة الكهربائية الموجودة في المسجد الحرام بواسطة التيار الكهربائي الوارد من شركة كهرباء الغربية "سكيكو" بالإضافة إلى عدّة محطات تقوية وتغذية في مكة المكرمة،ويُضاء المسجد الحرام بواسطة شبكة إنارة متنوعة في حجمها وشكلها حسب القسم المضاء من المسجد "المطاف" يُضاء بواسطة كشافات إنارة غازية موضوعة في أعلى المبنى الجديدة من الداخل بحيث تطلّ على القسم المكشوف من المسجد داخلياً،أمّا الأدوار المسقوفة من أروقة المسجد فتُضاء بواسطة نقاط إضاءة متصلة بالأسقف،كما أنّ هناك ثريات متنوعة الأحجام والأشكال تتدلى من سقوف المسجد في مختلف صالات وممرات مبنى المسجد<sup>(4)</sup>.

**4-دورات المياه والصرف الصحي:**وقد أنشئ مبنى للرجال وآخر للنساء،ويتكون كل منهما من دورين تحت منسوب الأرض في ساحات السوق الصغير(مقابل باب الملك عبد العزيز)،ومبنى آخر

(1) عبد القني،تاريخ مكة:97.

(2) المرجع نفسه:98.

(3) المرجع نفسه:98،وينظر:السبيل:رعاية الحرمين:48.

(4) الرقبة،الاماكن المقدسة والحج:288.

بدورين بالقرب من ساحة المروة بمساحة إجمالية تبلغ 14000م<sup>2</sup>، ويضم دورات للمياه والوضوء على أحدث طراز مكسوّة بالرّخام ومهيّأة بأماكن لتعليق الملابس بمداخل مستقلة للرجال والنساء ويُضاف إلى ذلك وحدات لدورات المياه في الجهة الشامية من المسجد<sup>(1)</sup>.

أما فيما يخصّ الصرف الصحي فقد عولجت مشكلته تماماً، فقد كان المسجد الحرام عبر عصوره المختلفة يشهد سيولاً متتابة، وكانت المياه ترتفع في المطاف، فنقّذ مشروع ضخّم في المنطقة المركزية لتصريف تلك المياه ضمن عبّارات تحت منسوب الأرض بأبعاد نحو 4م<sup>(2)</sup>.

صورة تبين  
ماكان يعانيه  
المسجد الحرام  
من السيول  
قديماً وقبل تنفيذ  
المشاريع  
الضخمة  
للصرف  
الصحي .



(1) عبد القني، تاريخ مكة: 98.  
(2) المرجع نفسه: 99.

5-نفق للسيارات: تمّ تنفيذ نفق للسيارات في منطقة السوق الصغير لتخفيف الازدحام حول المسجد الحرام الناتج من تقاطع المشاة المتجهين إلى المسجد مع السيارات وليتمّ استخدام ساحة باب الملك عبد العزيز للصلاة وربطها مع الساحات حول الحرم، ويمتدّ هذا النفق من جسر الشبيكة غرباً وحتى جسر أبي قبيس شرقاً بطول 1,500م والجزء المغطى منه 661م، ويحتوي على مسارين منفصلين: الأول لدخول القادمين من جدة وغرب مكة، والمسار الآخر للقادمين من المشاعر وشرق مكة، بالإضافة إلى 4مواقف للسيارات لتحميل المصلين وتنزيلهم ومن ثمّ نقلهم إلى ساحة المسجد بواسطة السلام المتحركة والثابتة، وهذا النفق مُزوّد بالإضاءة والتهوية والمراقبة التلفازية<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثاني: عمران الكعبة المشرفة

ذكر الله الكعبة ومزيتها وفضلها بقوله: {جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ...} (2)، قال القرطبي: (أي: صلاحاً ومَعاشاً؛ لأمنِ الناس بها، وعلى هذا يكون "قياماً" بمعنى: يقومون بها)<sup>(3)</sup>. والكعبة المشرفة هي أصل البركة في مكة المكرمة وكانت هي المسجد الحرام أولاً، ومازال الناس يُعظّمونها ويرمّونها وبينونها حكماً ومحكومين، قال السيد محمد بن علوي المالكي: (ذكر في التاريخ عدد الذين بنوا بيت الله وهم أحد عشر بالترتيب: الملائكة، وآدم، وشيت، وإبراهيم الخليل، والعمالق، وقصي ابن الحكم، وقريش، وعبد الله بن الزبير، والحجاج بن يوسف الثقفي، والسلطان مراد)<sup>(4)</sup>، ثمّ قال: (وقد اختلف المؤرخون في تحديد بُناة الكعبة تحديداً مُجمَعاً عليه، إلا أنّ القول الثابت الذي لا خلاف فيه لقوة أدلته هو القول بأنّ بُناة البيت ثلاثة: إبراهيم الخليل، فقريش، فابن الزبير والحجاج)<sup>(5)</sup>. قلت: وقد ثبت أنّها أُعيد بناؤها في عهد السلطان مراد سنة 1040هـ<sup>(6)</sup>، وبذلك يكون بُناة البيت أربعة، وإنّما خَصَصْنَا هؤلاء الأربعة لأنّهم هم الذين بدّل كلّ منهم حجارة الكعبة بحجارة جديدة وأعاد بناءها كاملاً تامّاً من أسفلها إلى أعلاها.

(1) عبد القني، تاريخ مكة: 99.

(2) سورة المائدة: من الآية: 97.

(3) القرطبي، تفسير: 206/6-210.

(4) المالكي، في رحاب البيت الحرام: 117.

(5) المالكي، في رحاب البيت الحرام: 117.

(6) تنظر التفاصيل: السباعي، تاريخ مكة: 548-545/2، جاد، وصف الكعبة المشرفة: 63-65، وعثمان إبراهيم عامر، وصف الكعبة المشرفة، ط1-دار البخاري، القاهرة: ص67-68.

أولاً: عمارة الكعبة أواخر العهد العثماني والعهد الهاشمي: وما احتاجت الكعبة المشرفة إلى إعادة بناء بعد بناء الملك مراد، وإنما هي مجرد ترميمات نوجزها فيما يأتي:

1- في سنة 1299هـ عمّر السلطان عبد الحميد خان الكعبة وفرش باطنها بالرخام<sup>(1)</sup>.

2- وفي سنة 1316هـ في إمارة عون الرفيق حصل تصدّع في رخام سطح الكعبة ونفذ منه المطر إلى باطنها فعمل الصنائع لذلك معجوناً من النورة وزلال البيض والإسمنت وغير ذلك، وسدّوا به تلك الأштاب<sup>(2)</sup>.

3- وفي سنة 1328هـ حصل في المربيع الخشب التي يُعلّق فيها ثوب الكعبة بسطح الكعبة خرابٌ ووهن فعمل بدلها أربعة مربيع من خشب جُلِب خصيصاً لذلك بواسطة رئيس السدنة في ذلك الزمن المرحوم الشيخ محمد صالح الشبي، وكان طول المربوعة لا يقل عن 8-9 أمتار، وقد حصل ذلك كله في إمارة الشريف الحسين بن علي<sup>(3)</sup>.

4- وفي عهد الشريف الحسين أيضاً في سنة 1332هـ حصل تصدّع في أسفل الأعمدة الثلاثة التي بداخل الكعبة بسبب مياه غسيل الكعبة، ومياه السيول، وكانت هذه الأعمدة قد عملت في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فأعلم رئيس السدنة المرحوم الشيخ محمد صالح الشبي أمير مكة الشريف الحسين بن علي بذلك فحضر الشريف في ضحوة يوم الاثنين 13/ ربيع الأول/ 1332هـ ثم حضر بعض أهل الخبرة من النجارين، فتقرّر عمل أخشاب أشبه بالطاب على طول القامة تُحاط بأسفل كل عمود من الأعمدة الثلاثة وتُسَمّر فيها بغاية الإتقان، فعمل ذلك، وكان هذا آخر ترميم للكعبة المشرفة في العهد العثماني<sup>(4)</sup>.

ثانياً: عمارة الكعبة في العهد السعودي: تمّ في عهد الملك عبد العزيز تجديد باب الكعبة المشرفة وإصلاح جوانبه<sup>(5)</sup>.

(1) باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة: 286.

(2) المرجع نفسه: 286-287. يتصرف يسير.

(3) المرجع نفسه: 287. يتصرف يسير.

(4) باسلامة، تاريخ الكعبة المعظمة: 287-288. يتصرف يسير.

(5) ينظر: السبيل، رعاية الحرمين: 60.

وأمر الملك سعود بتجديد سُلم الكعبة المشرفة الذي يصعد عليه الناس للدخول إلى الكعبة، وتمّ صنعه على الطريقة العربية وغلف بالفضة وطُعم بنقوش عربية ذهبية وأول استعمال للسلم المذكور كان في صباح يوم الخميس 6/ ذو الحجة/ 1376 هـ عندما دخل الملك الكعبة المشرفة لغسلها، ومعه رؤساء الوفود الإسلامية القادمة من شتى أنحاء العالم الإسلامي لأداء نُسك الحج<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 1376 هـ عندما كانت تجري أعمال توسعة المسجد الحرام نُمي إلى علم الملك سعود بن عبد العزيز أنّ سَقَف الكعبة المشرفة الأعلى أصابه شيءٌ من الخلل مما يدعو إلى إزالته وبناء سَقَفٍ جديد وأنّ جدران الكعبة المشرفة تحتاج إلى ترميم وإصلاح، وقدمت لجنة خاصة تقريراً بذلك، فأمر الملك الجهات المختصة بإنفاذ الإصلاح، وبُدئ به في يوم الجمعة 18/ رجب/ 1377 هـ في احتفال رأسه سُمُو الأمير فيصل بن عبد العزيز وليّ العهد آنذاك، واستمرّ العمل حتى تمّ تجديد سَقَف الكعبة المشرفة وترميم جدرانها على خير ما يرجو المسلمون للبيت العتيق<sup>(2)</sup>.

وبَعَدَ عصر يوم السبت 11/ شعبان/ 1377 هـ حضر الملك سعود بن عبد العزيز إلى المسجد الحرام لتفقد ما تمّ من الترميم وتشرف بوضع الحجر الأخير في الكسوة الرخامية بداخل الكعبة<sup>(3)</sup>.

وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز في ربيع الأول سنة 1397 هـ تمّ تركيب سُلم جميل من الألمنيوم القوي في شكل دائري داخل الكعبة يوصل إلى سطح الكعبة المشرفة مشتملاً على 50 درجة بدل سُلم الخشب الذي كان قد تداعى وتآكل بَعْضُهُ، وتمّ في عهده أيضاً صنع الباب الجديد<sup>(4)</sup>.

### العمارة الشاملة في عهد الملك فهد

في أواخر سنة 1401 هـ ظهر تسرب ماء غسل الكعبة من أعلى موضع الحجر الأسود، وسبق ذلك ظهور تصدّع في الرخام المفروش في داخل الكعبة المشرفة، ولما رفع الأمر إلى خادم الحرمين الشريفين أمر بتكوين لجنة للنظر في الموضوع واقتراح ما يلزم نحوه فقرّر أعضاء اللجنة ضرورة تغيير رخام أرض الكعبة

(1) المرجع نفسه: 60.

(2) السبيل، رعاية الحرمين: 60-61.

(3) المرجع نفسه: 61.

(4) المرجع نفسه: 61.



مع وضع مادة عازلة وبُدئ الإصلاح في 14/ رجب/ 1403هـ، وتمّ العمل المطلوب في 15/ شعبان/ 1403هـ<sup>(1)</sup>.

وقد حصل في عام 1417هـ ترميم عظيم للكعبة المشرفة لم يحصل مثله منذ بناء الكعبة الأخير في سنة 1040هـ، عندما لوحظ أنّه بدا التلف في بعض أجزاء الكعبة المشرفة المصنوعة من الخشب، وكان السقف أكثر تعرّضاً للتلف من غيره بسبب تكوينه من عوارض ولوحات خشبية، وكذلك الأعمدة الخشبية، إذ قد أصابت الأرضة جزءاً كبيراً من السقف والأعمدة، فخيف من إصابة التآكل والضعف في الأجزاء الأخرى من بناء الكعبة، فأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بترميم الكعبة المشرفة ترميماً كاملاً شاملاً من داخلها وخارجها على أحسن وجه فبُدئ العمل بترميمها في 10/ محرم/ 1417هـ<sup>(2)</sup>، فنزعت لواصق الجدران من لوحات تاريخية وغيرها من الداخل وكذلك ما علق فيها من الداخل وحفظت هذه الأشياء بعد تنظيفها بجانب الهدايا والتحف ومقتنيات الكعبة الأخرى كما تمّ إزالة السقف والأعمدة الخشبية، وكذلك تمت إزالة الياسة التي كانت تكسو جميع الأوجه الداخلية، وإخراج بعض الحجارة المكونة للجدار الداخلي ثمّ إعادتها بعد التنظيف<sup>(3)</sup>.

وظهر بعد الكشف أيضاً أن الجدار الخارجي للكعبة لا يوجد به أي عيب إنشائي، كما ظهر أنّه لا يوجد أي عيب في الحوائط بصفة عامّة، غير أنّه وجد تلف كبير للشدات الخشبية الموجودة في الحوائط بسبب الأرضة والفطريات وتأثير الرطوبة فوضعت خطة العمل وتمّ تنفيذها على أربع مراحل<sup>(4)</sup>.

- المرحلة الأولى: وهي بداية العمل من الأعلى في المداميك العلوية الأربعة، فنخرت المواد الممسكة من الفواصل والفراغات بين الصخور من داخل الكعبة التي أوجدتها طبيعة شكل الصخور التي تتركب منها المداميك، وأخرجت حجارة الحشوة والحجارة الباطنية، ورُقمت ونظفت وغُسّلت تهيئةً لأعادتها إلى مواضعها فيما بعد، ثمّ حُشيت هذه الفواصل والفراغات بمواد ممسكة ذات قوّة عالية جداً في الالتصاق بالصخر، ثمّ وضعت حجارة الحشوة والواجهة الباطنية، وحشيت الفراغات بين الأحجار بمواد إسمنتية قويّة جداً في التماسك وعدم التقلص، وغُرست فيها قطع معدنية خاصة بشكل يربط بين أحجار

(1) المرجع نفسه: 61-62.

(2) السبيل، رعاية الحرمين: 62.

(3) المرجع نفسه: 63.

(4) المرجع نفسه: 63.

الواجهة الخارجية وأحجار البطانة الداخلية، وأصبحت المساحة العلوية في حدود المداميك الأربعة أفقياً مكتملة الإنشاء والتماسك بحيث لن تتأثر بما يحصل أسفلها من الأعمال<sup>(1)</sup>.

– المرحلة الثانية: قُسمت الحوائط إلى شرائح عمودية في خطوط متوازية من أعلى إلى أسفل، إلا أنها كانت مُتَعَرِّجة بسبب تداخل الأحجار، وكان عَرْض الشريحة يتراوح بين 1,5 متراً و 1,7 متراً<sup>(2)</sup>.

وتمّ العمل في الشريحة الأولى بفكّ الأحجار الداخلية من أعلى حتى مستوى المطاف بحوالي 2,2 متراً مع الإبقاء على الواجهة الخارجية كما هي، ورقمت الأحجار المنزوعة ودُعمت جوانب طرفي الشريحة بدعائم خشبية بصورة أفقية وعلى مسافات مناسبة كي لا يحدث أي انزلاق في صخور أطراف الشريحة<sup>(3)</sup>.

وتقرّر أن تتمّ معالجة الشريحة المكشوفة على أقسام بدءاً من العلوّ إلى مقدار أربعة مداميك ثمّ التي تليها إلى أسفل مستوى أرض الكعبة الداخلي فبناء عليه تمّ في الجزء الأعلى من الشريحة تنظيف الفواصل للواجهة الخارجية وتنظيف الحجارة بالماء ثمّ جففت بآلات النفخ، ثمّ حُشيت الفواصل بمادة ذات قدرة عالية جداً في قوة التماسك وسرعته وبأسلوب الحقن الآلي، وبعد التحقق من تصلب هذه المادة وضعت مادة لاصقة، ثمّ حُشيت فواصل الواجهة الخارجية بخلطة ذات قوة عالية جداً<sup>(4)</sup>.

ثمّ غرست في الخلطة التي حُقنت بين فواصل الواجهة الخارجية للجدار قضبان معدنية عوملت معاملة مخبرية وكيميائية خاصة تحقق أغراضاً إنشائية خاصة وتثبت بمادة التثبيت المصنوعة لهذا الغرض، ومهمّة هذه القضبان تقوية التلاحم والتماسك بين الأجزاء الخارجية والداخلية من الجدار<sup>(5)</sup>.

أمّا إعادة بناء الأجزاء الداخلية فقد كانت من الأسفل إلى الأعلى بحيث وضع كلّ حجر في موضعه وحسب ترقيمه بعد التنظيف وملء الفواصل بالمادة عالية القوة، وتمّ رش طبقة الأساس بمبيد للحشرات الدقيقة التي لا تُرى بمجرد العين والحشرات المرئية، ثمّ حُقنت الفواصل بخلطة خاصة ذات قوة عالية جداً

(1) السبيل، رعاية الحرمين: 63-64.

(2) المرجع نفسه: 64.

(3) المرجع نفسه: 64.

(4) المرجع نفسه: 64.

(5) السبيل، رعاية الحرمين: 65.

كما ثبتت شبكة من القضبان المعدنية رأسية وأفقية محمية بمواد مقاومة لكل عوامل التآكل تحقق ترابطاً مشتركاً بين مكونات الجدار الخارجية والداخلية<sup>(1)</sup>.

– المرحلة الثالثة: وتتمثل هذه المرحلة في حفر أرض الكعبة من مستوى الباب الذي هو عليه إلى عمق مستوى المطاف، أي: إلى عمق 2,2 متراً<sup>(2)</sup>.

وقبل الإقدام على الحفر الكامل لأرض الكعبة المشرفة تمّ عمل استكشاف لمعرفة الحاجة إلى الحفر إلى أعماق القاعدة وترميم الجزء المدفون من الجدران، وذلك بحفر حفرة في جانب الركن الشامي حتى مستوى المطاف باتساع كافٍ يساعد على الاطلاع الكامل على حالة الجدران وشيء من الأساس. ثمّ تمّ الحفر الكامل لأرض الكعبة المشرفة، ثمّ الترميم بالأسلوب نفسه الذي تمّ به ترميم الحوائط العليا إلاّ أنّه من باب الاحتياط امتدّ عمل الترميم إلى أسفل من مستوى المطاف بما يتراوح بين نصف متر وثلاثة أرباع المتر تقريباً، وهي المسافة التي تصل الأحجار المتماسكة، وهي ما بين أربعة وخمسة مداميك الأحجار الصلبة التي تماثل أحجار الجدران العلوية وهي مُتراصة الواحد فوق الآخر دون وجود مؤنة بين المداميك<sup>(3)</sup>.

كما لوحظ بروز هذه الأحجار عن سمك الجدار الذي أقيم عليه، وهي أساس البيت المكرّم من عهد إبراهيم وإليه كان حفر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما حين بنى الكعبة، وأشهد خمسين رجلاً من وجوه الناس وأشرافهم عليه سنة 64هـ<sup>(4)</sup>.

وأجمعت كافة الشهادات التاريخية والمشاهدات الحديثة على عدم حدوث أي أضرار نتيجة حدوث هبوط للتربة أو الأساس خلال ثلاثة عشر قرناً ونصف قرن، من وقت بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ثمّ تعديلات الحجاج بن يوسف الثقفي، ثمّ بناء السلطان مراد خان سنة 1040هـ إلى يومنا هذا، ممّا جعل الخبراء يقررون أنّ الأساس الذي قام عليه بناء الكعبة المشرفة في حالة جيدة وصالحة لأن يقوم عليه البناء بدون أي معالجة لاستقبال أجمال المبنى<sup>(5)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 65.

(2) المرجع نفسه: 66.

(3) المرجع نفسه: 66.

(4) السبيل، رعاية الحرمين: 66.

(5) المرجع نفسه: 67.

-المرحلة الرابعة: تركيب الكعبة المشرفة: إنّ العنصرَ الأساسي في تكوين سطح الكعبة المشرفة هو الخشب وبعد الاستعانة بمراكز الأبحاث الخشبية في أوروبا وأستراليا ونيوزلندا واستشارتها تبين لدى المختصين أنّ خشب "التيك" هو النوع الأمثل الذي يتعين استخدامه في تسقيف الكعبة لاتصافه بأوصاف لا تتوفر في غيره منها<sup>(1)</sup>

1-مقاومة الأحمال لأطول عمر افتراضي ممكن.

2-انخفاض درجة الانكماش لدرجة قريبة من الانعدام.

3-مقاومة التغير في الأجواء الحارة الجافة.

4-مقاومة الأرضة والفطريات والحشرات الدقيقة والرطوبة المترسبة.

5-طول الجذوع بما يزيد على عشرة أمتار مع قطر لا يقل عن متر واحد بعد التهذيب والإعداد للاستخدام.

فتمّ استيراده من "بورما" الموطن الأصلي لهذا الخشب وتم اختيار 137 شجرة، وتمّ قطعها ونقلها إلى المنجرة، ثم انتقاء 49 قطعة منها لسقف الكعبة وأعمدها<sup>(2)</sup>.

وتمّ نقل هذه القطع إلى جدّة ثمّ تُركت لمُدّة ستة أشهر لتجفّ في الجوّ الطبيعي نسبياً، ثمّ تمّ إدخالها في أتون التجفيف الذي تمّ تعديله بشكل خاص، وزيادة في الحماية من الأرضة والفطريات تمّ معالجتها بالمواد الحافظة غير السامة التي ليس لها لون ولا رائحة، وتمّ وضع رؤوس حديدية غير قابلة للصدأ على أطراف الكمرات والأعمدة لتوزيع الأحمال عليها، وتمّ بناء قواعد خرسانية مُسلّحة للأعمدة بدلاً من القواعد الصخرية القديمة، وتمّ حمايتها من تأثير الرطوبة بوضع مواد عازلة حولها، بحيث تتوزع أعمال الردم إلى مستوى باب الكعبة بدلاً من الضغط على جدران الكعبة<sup>(3)</sup>.

وتمّ إعادة تركيب الأعمدة في مواقعها الأصلية وكذا تمّ إعادة جميع أجزاء الرخام التي عليها كتابات في مواقعها السابقة داخل الكعبة، ووُضع السقف الخشبي، ثمّ وُضعت طبقة من مواد العزل فوق السقف، وفوقها طبقة من الخرسانة الخفيفة لحمايتها وتأمين الميول لتصريف المياه عن السطح، ثمّ تمّت

(1) المرجع نفسه: 67.

(2) السبيل، رعاية الحرمين: 68.

(3) المرجع نفسه: 68.

تغطية السطح بالرخام، كما تم تجديد السلم الداخلي الموصل إلى سطح الكعبة، وجعل درجة من الزجاج القوي المميز وتم تغطية فتحته في السطح بنوع من الزجاج لیساعد على الإضاءة داخل الكعبة، وجُدد رُخام الشاذروان، ورُخام حجر إسماعيل<sup>(1)</sup>.

وقد تم الانتهاء من أعمال الترميم هذه كلها في يوم الثلاثاء 1417/6/30 هـ<sup>(2)</sup>. وفيما يلي معلومات أخرى عن وضع الكعبة الحالي<sup>(3)</sup>:

ارتفاع الكعبة المشرفة	طولها من جهة الملتزم	طولها من جهة الحطيم	بين الركن اليماني والحطيم	بين الركنين
14م	12ر84م	11ر28م	12ر11م	11ر52م

قلت: وهذه العمارة للكعبة المشرفة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من حيث اختيار المواد المتطورة اللازمة للبناء بما يضمن المحافظة عليها من أي خلل لقرون عديدة - إن شاء الله - جعلَ الله ذلك العمل في ميزان حسنات الملك فهد رحمه الله، والقائمين على خدمة البيت العتيق.

### ميزاب الكعبة

هو الجزء المثبت فوق سطح الكعبة؛ لتصريف المياه عند سقوط الأمطار، أو عند غسيل الكعبة، وهو موجود في الناحية الشمالية من الكعبة المشرفة فوق حجر إسماعيل<sup>(4)</sup>.

وكان يُسمّى ميزاب الرحمة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (صلوا في مُصلّى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس: وما مُصلّى الأخيار؟، قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار؟، قال: ماء زمزم)<sup>(5)</sup>، وعن عثمان بن عفان<sup>(6)</sup> (أنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه: ألا تسألوني من أين جئت؟، فسألوه، فقال: كنت قائماً على باب الجنة. وكان قائماً تحت الميزاب يدعو الله عنده)<sup>(6)</sup>.

والمسلمون قديماً وحديثاً إذا هطل المطر فتحدّر من الميزاب تَلَقَّوهُ فمسحوا به وجوههم وما استطاعوا من أجسادهم تبرّكاً به، ولم يُنكر عليهم أحدٌ من كبار علماء مكة كالسيد علوي المالكي رحمه الله، قال الدكتور عبد الوهاب بن ابراهيم عنه أنه (جاءه مرّة رجلٌ ساخطٌ على مَنْ يتلقون ماء المطر

(1) المرجع نفسه: 68-69.

(2) المرجع نفسه: 69.

(3) ينظر: عبد الغني، تاريخ مكة: 42.

(4) حامد، ذكرى من مكة المكرمة: 48.

(5) عبد الرزاق، المصنف: 117/5، والأزرقي، أخبار مكة: 53-54.

(6) المالكي، محمد، في رحاب البيت الحرام: 109.

المنصب من ميزاب الكعبة المشرفة، ويدعون أنه بركة، وقال لفضيلته: إسمع يا سيّد: يقولون بركة؟!، فأجابه السيد: بل بركتان: يقول الله: {ونزلنا من السماء ماءً مباركاً} (1)، ويقول: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً} (2)، فبركة على بركة (3).

وأول مَنْ وُضِعَ للكعبة ميزاباً قريش حين بنّتها، وقد كانت قبل ذلك بلا سقف، ثم توالى الملوك على صنع ميزاب الكعبة واستبداله، حتى كان الميزاب الذي عمّله السلطان عبد المجيد خان ابن السلطان محمود خان وهو من الذهب الخالص، صنع في القسطنطينية سنة 1273هـ وفيه ما يقارب 50 رطلاً من الذهب الخالص وعليه كتابة جميلة من الجهات الثلاثة بقلم الخطاط الشهير عبد الله الزهدي (ت: 1296هـ) (4).

وبقي هذا الميزاب على حاله حتى مطلع العهد السعودي، (وفي شهر محرم سنة 1376هـ ثار هواء شديد ففتق قطعة من ثوب الكعبة الجديد الذي خيط عليها قريباً من جهة حجر إسماعيل، فألقى بهذه القطعة على هذا الميزاب المذكور فالتوى وتغطّف منها لسان الميزاب المتدلي فقط، ولم تُحدث هذه القطعة الثقيلة أي ضرر على الميزاب مطلقاً، حتى أنه لم يُحرك قيد شعرة عن محله... ثم إنّ مديرية الأوقاف أصلحت لسان الميزاب المعوّج في يوم الأربعاء 11/ربيع الثاني/1376) (5).

12- وفي سنة 1417هـ تم تجديده على وفق مقاييس الميزاب السابق، وقد كتب في مقدّمته: بسم الله الرحمن-ياالله-وبجانبه الأيسر: جدّد هذا الميزاب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، وقد تمّ غرس المسامير في الجانب العلوي للميزاب لتمنع الطيور من الوقوف عليه وهو مُلبّس بالذهب (6)، وفيما يلي معلومات أخرى عنه (7):

(1) سورة ق، من الآية، 9.  
(2) سورة آل عمران، من الآية: 96.  
(3) المالكي: عباس، صفحات مشرقية: 30.  
(4) ينظر: الكردي، التاريخ القويم: 171/4.  
(5) المرجع نفسه: 171/4-172.  
(6) عبد الغني، تاريخ مكة: 50.  
(7) المرجع نفسه: 50.

الطول الصافي	المقدار الداخل في الجدار	المقدار الخارج من الجدار	ارتفاعه	عرضه
2,53م	58سم	1,95م	23سم	26سم

## بَابُ الْكَعْبَةِ

حين بنى سيدنا ابراهيم الكعبة جَعَلَ لها بابين لاصقين بالأرض فكان الناس يدخلون من الباب الشرقي ويخرجون من الباب الغربي، وكان هذان البابان غير مَبَوَّين أي: كانا عبارة عن فتحتين يمكن أن توضع في كُلِّ منهما باباً حتى كان تُبْع "أسعد الحميري" فَجَعَلَ لها باباً وغلَقاً—أي قُفْلاً—فارسيّاً<sup>(1)</sup>، وحين بنت قريش الكعبة أغلقوا بابها الغربي وجعلوا بابها الشرقي بمصرعين، ورفعوه عن الأرض حتى لا يَرَقَا إليه أحدٌ إلاَّ بِسُلْمٍ<sup>(2)</sup>.

وهكذا توالى عمارة الملوك لباب الكعبة المشرفة.

قلت: ولم أجد في كتب التاريخ أنَّ أحدًا جَدَّدَ هذا الباب بعد السلطان مراد، أو رَمَّمَهُ بعد السلطان أحمد خان حتى دخل العهد السعودي الزاهر، أي بقي على حاله ما يقرب من مئتين وخمسين سنة. ثم أمر الملك عبد العزيز بصنع باب جديد للكعبة المشرفة، فقد أخذ الباب القديم بالتضعع بسبب تقادم السنين، فصُنِعَ بصورة بديعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ صناعة باب الكعبة، وغطِّيَ بصفائح من خالص الفضة، وحلِّيَ بآيات قرآنية بأحرف ونقوش من خالص الذهب، وزكَّب هذا الباب عشية يوم الخميس 15/ ذو الحجة/ 1366هـ<sup>(3)</sup>، ثم أمر بإصلاح عضادتي الباب بصورة فنية جميلة حيث عملت هذه الجوانب من الفضة الخالصة الموشاة بالذهب والمزركشة بالزخرف الجميل<sup>(4)</sup>.

قلت: وحتى هذا العهد عندما يُذكر باب الكعبة فإنه يُراد به الباب الخارجي، ولم أجد ذكراً لباب التوبة: وهو على يمين من يدخل إلى جوف الكعبة وبجواره السُلْم الذي يؤدي إلى السطح<sup>(5)</sup>، ولعلَّ هذا الباب صُنِعَ في عهد الملك خالد كما يأتي.

(1) ينظر: الأزرقى، أخبار مكة: 63/1.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 162/1.

(3) ينظر: عبد الغنى، تاريخ مكة: 19.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 20.

(5) ينظر: حامد، ذكرى من مكة المكرمة: 29.

وقد أصدر الملك خالد أمره بتجديد باب الكعبة، وباب التوبة بصفائح من الذهب الخالص، وقد تم تنفيذ ذلك سنة 1399هـ، وقد كلفت صناعة البابين 13420000 ريالاً، عدا كمية الذهب التي بلغت 280 كيلو جراماً عيار 99,99٪، ويتألف الهيكل الإنشائي للباين من قاعدة خشبية بسمك 10 سم من خشب التيك، وثبتت عليها صفائح الذهب الخالص المزخرف واستغرق العمل في صنع البابين سنة كاملة، بدءاً من 1398/12/1هـ<sup>(1)</sup>.

وقد كتب على الباب: بسم الله الرحمن الرحيم {ادخلوها بسلام آمين} (2)، {جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام} (3)، {رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً} (4)، {كتب ربكم على نفسه الرحمة} (5) {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} (6)، ويليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله: {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} (7)، وكتب على مقبضي الباب: الله أكبر. وكتب تحت القفل: سورة الفاتحة، كتب تحتها: صنع الباب السابق في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة 1363هـ، وكتب تحتها: صنع هذا الباب في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود سنة 1399هـ<sup>(8)</sup>.

أما الجوانب فمكتوب عليها 15 من أسماء الله الحسنى كما يلي (9):

الجانب العلوي: يا واسع، يا مانع، يا نافع.

الجانب اليمين: يا عالم، يا علیم، يا حلیم، يا عظیم، يا حكیم، يا رحیم.

الجانب الأيسر: يا غني، يا مغني، يا حميد، يا مجيد، يا سبحان، يا مستعان.

في حين كتب في الزاويتين العلويتين للباب: الله جل جلاله، محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(10)</sup>.

(1) ينظر: عبد الغني، المرجع السابق: 56، والسبيل، رعاية الحرمين: 28.

(2) سورة الحجر، آية: 46.

(3) سورة المائدة، من الآية: 67.

(4) سورة الاسراء، من الآية: 80.

(5) سورة الانعام، من الآية: 54.

(6) سورة غافر، من الآية: 60.

(7) سورة الزمر، من الآية: 53.

(8) عبد الغني، تاريخ مكة: 57-58.

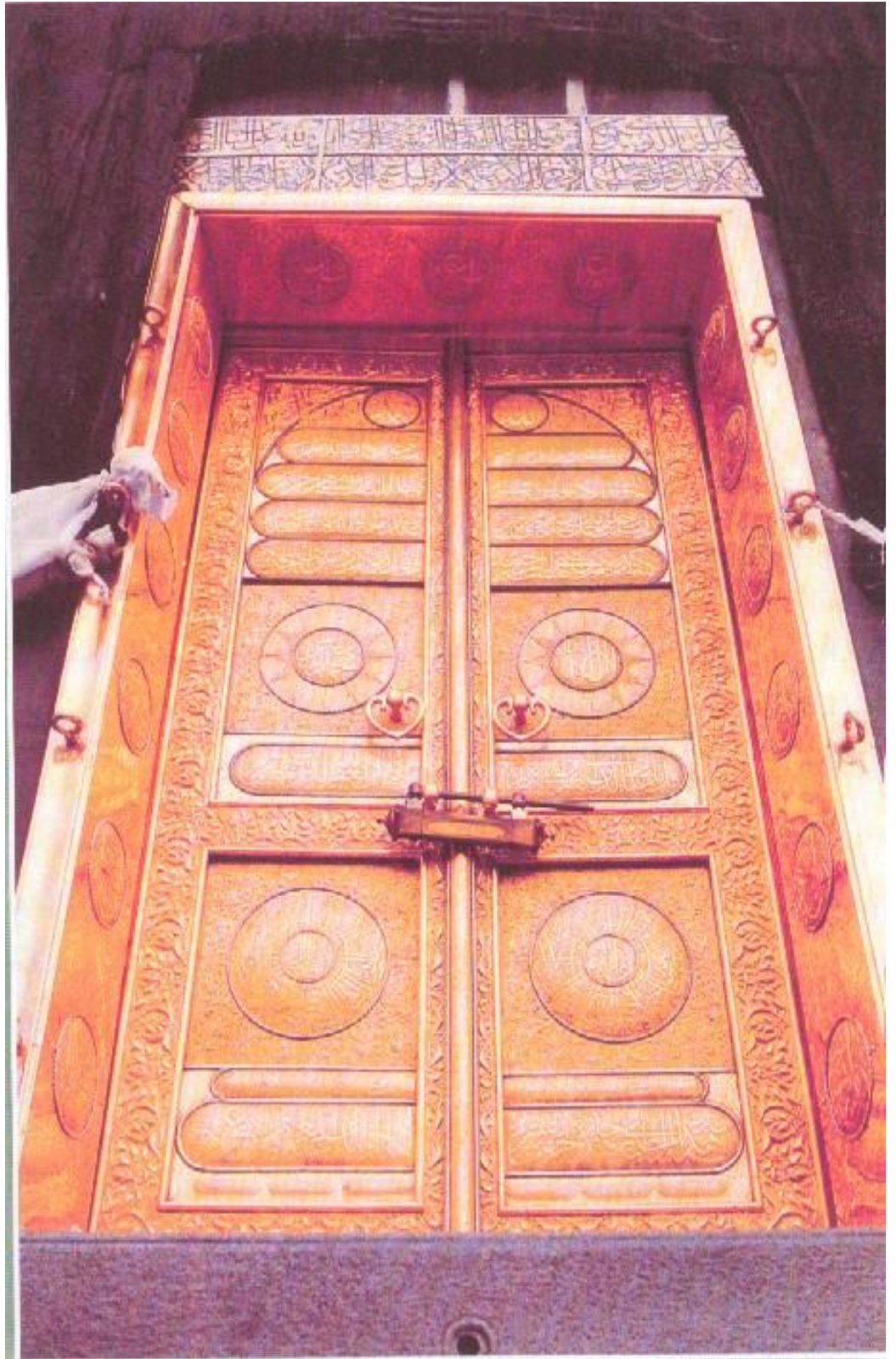
(9) المرجع نفسه: 58.

(10) المرجع نفسه: 57.



معلومات موجزة عن باب الكعبة وباب التوبة<sup>(1)</sup>:

عرضه	طول باب التوبة	ارتفاعه من المطاف	عمقه	عرضه	طول باب الكعبة
70 سم	2,30 م	2,25 م	50 سم	1,90 م	3,10 م



باب الكعبة

المشرفة الحالي وهو الباب الذي أمر بصنعه الملك خالد رحمه الله  
مفتاح الكعبة وقفلها

وأما مفتاح الكعبة فما زال عند ممثل العهدة في بني شيبة وطوله 40 سم، ويُحفظ في الحقيبة الحيرية المطرزة بالذهب الخالص والتي يجهزها مصنع الكسوة سنوياً، مكتوبٌ عليها: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدَّوْا الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا} (1)، ومكتوب في الجانب الآخر: أمر بصنعه خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله (2).

وأما قفل الباب فقد أعيد صناعته سنة 1399 هـ بمواصفات القفل القديم الذي يعود إلى عهد السلطان عبد الحميد الثاني والذي رُكب سنة 1309 هـ، ومع التعديل الذي يناسب التصميم الخاص بالباب الجديد؛ لزيادة ضمان الإغلاق ودون الحاجة إلى صيانة، ويبلغ طوله 34 سم وعرض كل ضلع له 6 سم، وفي كل ضلع قطعة من النحاس الأصفر طولها 8 سم، وعرضها 2 سم محفور عليها العبارة التالية: صنع في عهد خالد بن عبد العزيز آل سعود سنة 1399 هـ (3).

### المطلب الثالث: كسوة الكعبة المُشرَّفة

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه [نهى عن سب أسعد الحميري وهو تُبّع، وكان أول من كسا الكعبة] (4). واستمر الخلفاء والملوك بإرسال الكسوة سنوياً حتى عهد الفاطميين ثم المماليك، وفي العهد العثماني اختص العثمانيون بإرسال الكسوة الداخلية للكعبة، وكسوة الحجرة النبوية، واستمرت مصر في إرسال الكسوة الخارجية من ريع أوقاف الكعبة بمصر، ولما كان عهد محمد علي ألغى تلك الأوقاف وأحالتها إلى خزانة الحكومة المصرية لقاء صنع الكسوة من أموال الخزينة (5).

وكان الموكب الذي يحمل الكسوة يُسمَّى المحمل وكان المحمل المصري يُودَّع باحتفال رسمي، فإذا وصل الحملان استقبلا في جدة ومكة استقبلاً رسمياً، وكان إذا وصل ركبا أحدهما مكة أناخ بجوار باب النبي ﷺ في حفل عام تُعزف فيه موسيقى مكة والمحمل، ثم ينقل على أكتاف الرجال من باب النبي إلى المسجد حيث يستقر كل محمل في مكانه المخصَّص بين باب النبي، وباب قايتباي، ويبقيان كذلك إلى يوم

(1) سورة النساء، من الآية: 58.

(2) عبد الغني، تاريخ مكة: 58-59.

(3) المرجع نفسه: 59.

(4) الأزرق، أخبار مكة: 247/1.

(5) ينظر: السباعي، تاريخ مكة: 549/2.

السفر فيخرج كُلُّ منهما في يومه المُحدّد ليحتفلوا بتوديعه بعد أن يطوف الجمل به عدة طوفات في الشارع أمام باب علي<sup>(1)</sup>.

واستمر الأمر على ذلك حتى سنة 1344هـ أي: بعد تنصيب الملك عبد العزيز على الحجاز، وحين قدم المحمل المصري لم يرتضِ النجديون بعض عادات المحمل فحصل احتكاك بين رجال المحمل والنجديين أدّى إلى إطلاق النار، ولم تُرسل مصر المحمل في السنة التالية 1345هـ<sup>(2)</sup>، ولم تشعر الحكومة السعودية بذلك إلّا في غرة شهر ذي الحجة، فصدرت أوامر الملك بعمل الكسوة في غاية السرعة، فنهض المعنيون بهذا الأمر وفي مقدمتهم وزير المالية، وعملوا الكسوة من الجوخ الأسود الفاخر، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز وكتبت عليه الآيات بالقصب الفضي المموه بالذهب الوهاج مع ستارة الباب، ولم يأت الموعد المحدد لكسوة الكعبة إلّا والكعبة المعظمة لابسة تلك الكسوة التي عملت في بضعة أيام<sup>(3)</sup>.

### مَصْنَع كَسْوَةِ الْكَعْبَةِ

وعلى إثر تلك الحادثة أمر الملك عبد العزيز في مستهلّ شهر المحرم سنة 1346هـ بإنشاء دار خاصة لعمل الكسوة، فبنيت بحارة أجياد على مساحة 1500م<sup>2</sup>، وتمت عمارتها خلال ستة أشهر من طابق واحد فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة وصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة، ثم صدر الأمر الملكي بإحضار العُمّال لحياكة الكسوة وعمل التطريز للحزام وستارة الباب وما يقتضي عمله للكسوة من بلاد الهند، فوصل العُمّال وأنوال النساجة والحياكة من الهند في بداية شهر رجب سنة 1346هـ بواسطة أحد علماء الهند ووجهائها مع الحرير وما يلزم لعمل الكسوة<sup>(4)</sup>.

فصبوا الأنوال وصبغوا الحرير وباشروا العمل وكانت الأنوال اثني عشر نولاً، وعدد المعلمين النساجين مع المطرّزين أربعون مُعلِّماً وأتباعهم عشرون، فكان مجموعهم ستين شخصاً<sup>(5)</sup>.

(1) المرجع نفسه: 550/2.

(2) ينظر: هيكل، في منزل الوحي: 158.

(3) السبيل، رعاية الحرمين: 74.

(4) السبيل، رعاية الحرمين: 74-75 بتصرف يسير.

(5) المرجع نفسه: 75.

وفي نهاية ذي القعدة من سنة 1346هـ تمّ عمل الكسوة في هذا المصنع الجديد<sup>(1)</sup>.

واستمرّ الحال على ذلك حتى تمّ الاتفاق بين الحكومتين السعودية والمصرية سنة 1355هـ، واستأنفت مصر إرسال الكسوة سنوياً إلى الكعبة المشرفة، إلى أن توقفت عن ذلك سنة 1381هـ<sup>(2)</sup>، فقامت الحكومة السعودية بفتح وتشغيل مصنع الكسوة سنة 1382هـ<sup>(3)</sup>.

ورغبةً في إتقان عمل الكسوة أصدر جلاله الملك فيصل بن عبد العزيز أمراً بتجديد مصنع الكسوة، وفي عام 1397هـ تمّ افتتاح المبنى الجديد بأمر الجود في مكة المكرمة<sup>(4)</sup>، وقد زوّد بآلات حديثة لتحضير النسيج، وأُخذت قسم النسيج الآلي مع الإبقاء على أسلوب الإنتاج اليدوي لما له من قيمة فنية عالية<sup>(5)</sup>، ومنذ ذلك الحين يقوم المصنع بإنتاج كسوة الكعبة سنوياً، ومن مهام هذا المصنع أيضاً: عمل الستارة الداخلية للكعبة المشرفة، وستارة خاصة للحجرة النبوية الشريفة، وتطريز أعلام المملكة العربية السعودية، وإنتاج قطع الهدايا المماثلة لما يُطرّز تحت حزام كسوة الكعبة المعظمة؛ وذلك لتغطية ما يُقدّم لضيوف المملكة<sup>(6)</sup>.

ويشغل مصنع الكسوة مساحة 100000م<sup>2</sup>، ويعمل فيه أكثر من 240 عاملاً، وهو الآن تابع للرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي<sup>(7)</sup>.

### وَصَفُ الكسوة

تنسج الكسوة من الحرير الطبيعي الخالص المصبوغ باللون الأسود، وينسج على كامل الكسوة بشكل رقم 7 متكررة ومتصلة ما يلي:

لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ محمد رسول الله، سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم، يَا اللهُ، يَا حَنَّانَ، يَا مَنَّانَ<sup>(8)</sup>.

وتتكون الكسوة من خمس قطع، أربعٌ منها تغطي الجهات الأربع للكعبة حسب مقاس كل جانب، والخامسة هي الستارة التي توضع على الباب، وتعلق هذه القطع على الكعبة المشرفة رأسياً بعد

(1) المرجع نفسه: 75.

(2) عبد الغني، تاريخ مكة: 60.

(3) المرجع نفسه: 60.

(4) المباركفوري، تاريخ مكة: 46-47.

(5) المرجع نفسه: 47.

(6) عبد الغني، تاريخ مكة: 60-61.

(7) المرجع نفسه: 61.

(8) المرجع نفسه: 61.

خلع الكسوة القديمة، ثم تبطن بالقماش الأبيض، وتثبت الأركان بحياكتها من أعلى الثوب إلى أسفله، وتستخدم في تجهيزها 47 طاقة قماش، طول كل منها 14م، وعرضها 95سم<sup>(1)</sup>.

وفي الثلث الأعلى من الكسوة حزام تكتب فيه الآيات القرآنية، وتحت الحزام مساحات أخرى للكتابة بالتطريز البارز، وتكسى الكعبة المعظمة كسوة جديدة في 9/ ذي الحجة من كل عام، فتظهر الكعبة في أول أيام العيد في ثوبها الجديد<sup>(2)</sup>.

وفيما يلي معلومات أخرى عن الكسوة<sup>(3)</sup>:

ارتفاع الكسوة	وزن الحرير المستخدم	عرض الكسوة من جهة الباب	جهة الحطيم	بين الركن اليماني والشامي	مساحة سطح الكسوة
14م	670 كغم	11,68م	9,90م	12,04	658م <sup>2</sup>

ويبلغ مجموع نفقات الثوب الواحد حوالي (17000000) ريالاً ويشمل ذلك نفقة الخامات وأجور العاملين والإداريين<sup>(4)</sup>.

قلت: ومن رَفَعَ يده عن خدمة البيت الحرام فإنّ ذلك من سوء الطالع له ولأهل بلده، والخير يعرف أهله، فعموم المؤمنين الصادقين يرجون الله أن يقبلهم من خُدام بيته الحرام ويرون بذلك شرفاً عظيماً— وهو كذلك حقاً— فمن كَرَّمَ البيت الحرام، كَرَّم، ومن عَظَّمَ البيت الحرام عَظَّم، وَمَنْ شَرَّفَ البيت الحرام شَرَّفَ، عن ابن جريج أنّ النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال: [اللهم زد هذا البيتَ تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد من شَرَفه وكرمه ممن حجّه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً]<sup>(5)</sup>، وأنا لنرى آثار هذه الدعوة في الحكومة السعودية، فلما تشَرَّفَ الملك عبد العزيز رحمه الله وأولاده بخدمة الكعبة المعظمة جَعَلَ اللهُ جزاءهم أن حفظ لهم دولتهم ما يربو على قرن من الزمان.

#### المطلب الرابع: العناية بالحجر الأسود

(1) عبد الغني، تاريخ مكة: 61.

(2) المرجع نفسه: 61.

(3) المرجع نفسه: 62.

(4) السبيل، رعاية الحرمين: 76.

(5) الشافعي، المسند: 169/2.

أولاً: فضل الحجر بين الأحاديث النبوية والاكتشافات العلمية: وردت كثيرٌ من الأحاديث النبوية تذكر فضل الحجر الأسود فمنها قوله: [إِنَّ الرُّكْنَ والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة] (1)، والمقصود بالركن هنا: الحجر الأسود، وقال: [الحجر الأسود من حجارة الجنة] (2).

وعن أبي سعيد الخدري قال: (خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى مكة، فلما دخلنا الطواف قام عند الحجر، وقال: والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيتُ رسولَ الله يُقبِّلُك ما قبَّلْتُك، ثم قبَّلَهُ ومضى في الطواف، فقال له علي بن أبي طالب: يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع، قال: وبم ذلك؟ قال: بكتاب الله تعالى، قال: وأين ذلك من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} قالوا بلى شهدنا (3) الآية. قال: فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره، فأخرج ذريته من صلبه، فقررهم أنه الربُّ وهُم العبيد، ثم كتب ميثاقهم في رقٍّ، وكان هذا الحجر له عينان ولسان، فقال له: افتح فاك، قال: فألقمته ذلك الرقَّ، وجعله في هذا الموضع وقال: تشهد لمن وافاك بالموفاة يوم القيامة، قال: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن) (4).

قلت: لقد أثبت العلم الحديث هذا المعنى، إذ اكتشفت الدراسات العلمية أن الحجر الأسود من المواد التي لا تسخن ولا تغرق، (إنها بالضبط أشباه الموصلات التي جعلت اليابان ت قلب موازين وسائل الموصلات في العالم، فاليابان نجحت في تحويل الصمام الثلاثي والثنائي في أجهزة الراديو الذي على هيئة لمبة إلى بلورات صغيرة هي "أشباه الموصلات" ومنها استخرجت أجهزة الحاسبات والترانزستور.. فالنقلة الحضارية التي حدثت في العالم جاءت نتيجة لاكتشاف أشباه الموصلات التي من طبيعتها الطفو فوق الماء، وعدم التأثر بالحرارة، قديماً كان الراديو الضخم يتوقَّف عن العمل عندما تسخن اللمبات، والآن يعمل الراديو أربعاً وعشرين ساعة دون توقُّف، والحجر الأسود من أشباه الموصلات، فهو لا يتأثر بالحرارة ولا يغرق) (5).

(1) الترمذي، الجامع الصحيح: 226/3 رقم 878، وقال حديث غريب، وابن حبان، الصحيح: 24/9 رقم 3709.

(2) ابن أبي شيبة، المصنف: 274/3 رقم 14145، والطبراني، المعجم الكبير: 146/11 رقم 11314.

(3) سورة الأعراف، من الآية: 172.

(4) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین: 628/1 رقم 1682.

(5) الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي: 991.

وبناءً على ذلك فقد اكتشف العلماء أنّ الحجر يُسجّل اسم من قبله أو استلمه أو أشار إليه، ولتوضيح الكيفية العلمية التي تُحدث ذلك، قال يوسف الحاج أحمد: (قديمًا كنّا نُخصّص لكل خط تليفون سلكاً خاصاً به، وهذا يعني إنّ عدّة مئات من الخطوط كانت تحتاج إلى كابلات ضخمة تمدها وتسير فيها، ولكن بعد اكتشاف أشباه الموصلات أصبحنا نصنع من "الفيرجلاس" في حجم خرطوم متوسط أكثر من مليون خط تليفون، ومن هنا فإنّ الحجر الأسود يُسجّل اسم من قبله، أو استلمه، أو أشار إليه؛ لأنّه من أشباه الموصلات، بل إنّ الإمام الشافعي يقول: إنّ الحجر الأسود يُسجّل اسم من زاره واسم أمّه. والأكثر من هذا إنّ الإمام الشافعي تساءل: ماذا يفعل الحجر الأسود مع من يتكرر منهم الحج والعمرة؟ وأجاب هو أيضاً يكتب اسم زائره في المرّة الأولى، ثمّ يضع علامات معينة بعدد مرّات حجّه واعتماره. لم يكن هناك كومبيوتر في عصر الإمام الشافعي، لكنّه توصّل ببصيرته إلى حقيقة عمل "أشباه الموصلات" التي ينتمي إلى مادّتها حجرنا الأسود، إنّهُ حجرٌ واحدٌ من أحجار الجنة، يُسجّل اسم من زار بيت الله الحرام في سجل التشريفات الإلهية، من لدن آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، حيث يأتي شاهداً على من قبله أو استلمه أو أشار إليه، والسؤال الآن: في موسم الحج على سبيل المثال يشير إلى الحجر الأسود أو يقبله أكثر من مليوني حاج فهل يُسجّل أسماءهم جميعاً في وقت واحد؟ نعم، فإذا كنّا نحن البشر قد استطعنا أن نصنع أكثر من مليون خطّ تليفون في حجم خرطوم صغير من "الفيرجلاس" فماذا عن صنع الله الذي أتقن كلّ شيء؟، أهل الله من الصالحين توصّلوا إلى هذه الحقيقة "أشباه الموصلات" وعرفوا طبيعتها قبل الجميع، وهكذا {واتقوا الله ويعلمكم الله} (1)، إنني أناشد حجاج بيت الله الحرام ألاّ يتزاحموا على الحجر الأسود أو يُصروا على تقبيله ولمسه، فمجرّد الإشارة إليه تعني تسجيل اسم الحاج في سجل التشريفات الإلهية) (2).

### ثانياً: شيء من تاريخ الحجر والعناية به

قال الشيخ حسين باسلامة (ت: 1356هـ): (ومّا هو جدير بالذكر ماوقع في عصرنا الحاضر في آخر شهر محرّم سنة 1351هـ وذلك أنّه جاء رجلٌ فارسي من بلاد الأفغان، فاقتلع قطعة من الحجر

(1) سورة البقرة، من الآية: 282.

(2) الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي: 962.



الأسود، وسرق قطعة من ستارة الكعبة وقطعة من فضة من مدرج الكعبة الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبه، فشعر به حرس المسجد فاعتقلوه ثم أعدم عقوبة له، كما أعدم من تجرأ قبله على الحجر الأسود بقلع أو تكسير أو سرقة، ثم لما كان يوم 28/ربيع الثاني من سنة 1351هـ حضر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله من مصيفه بالطائف قبل توجهه إلى الرياض، وحضر بعض الأعيان، وعمل الأخصائيون مركباً كيميائياً مضافاً إليه المسك والعنبر؛ لتثبيت تلك القطعة وأعادوها إلى محلها<sup>(1)</sup>.

وفي يوم الأربعاء 22/شعبان/1375هـ وضع الملك سعود بن عبد العزيز طوقاً جديداً من الفضة الخالصة على الحجر الأسود، وكان الشيخ محمد طاهر الكردي (ت: 1400هـ) واقفاً إلى جنبه ممسكاً بالطوق الحديد لتثبيته على الحجر الأسود، بعد قلع طوق السلطان محمد رشاد<sup>(2)</sup>.

وفي أواخر سنة 1401هـ ظهر تسرب ماء غسل الكعبة من أعلى الحجر الأسود، فقررت اللجنة التي نظرت فيه ضرورة تغيير الإطار الحديدي المثبت عليه الإطار الفضي الخاص بالحجر الأسود وأن يكون من معدن غير قابل للصدأ، فتم ذلك في سنة 1403هـ<sup>(3)</sup>.

ثم رُمم الحجر والإطار الفضي في عهد الملك فهد في ربيع الأول سنة 1422هـ<sup>(4)</sup>.

وصفة الحجر الآن أنه مثبت في الركن الجنوبي للكعبة على ارتفاع 10,1م من أرض المطاف، وطوله نحو 25سم وعرضه نحو 17سم، وهو مغروس في جدار الكعبة وكان قطعة واحد، وبناءً على الحوادث التي مرت عليه تكسر رأسه الظاهر، وقد كان يظهر منه في أوائل القرن الرابع عشر الهجري خمس عشرة قطعة، ثم اختفى بعضها تحت المعجون الذي يثبت به الحجر حتى بقي منه ثماني قطع صغار مختلفة الحجم أكبرها بقدر التمرة، وهي المقصودة بالتقيل<sup>(5)</sup>.

(1) بكداش، فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم: 34-35.

(2) ينظر: المرجع نفسه: 35.

(3) ينظر: السبيل، رعاية الحرمين: 61-62.

(4) عبد القني، تاريخ مكة: 43.

(5) ينظر المرجع نفسه: 42-43، وينظر: المالكي، محمد، في رحاب البيت الحرام: 29.

قلت: وقد تشرفت باستلام الحجر وتقبيله والدعاء عنده عشرات المرات إبان إقامتي لأجل الدراسة في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي، وذلك من فضل الله وتوفيقه، وصدق الله العظيم: {وما بكم من نعمة فمن الله} (1).



صورة للحجر الأسود والإطار

المطلب الخامس: الحجر

حجر إسماعيل (هو الحائط)

وهو على قسمين: قسم من الكعبة المشرفة فنقص منها، وقسم ليس منها واحديث التالي يصرح بذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت [سألت النبي ﷺ عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: نعم، قلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إن قومك قصرت بهم النفقة، قلت: فما شأن بابه مُرتفعاً؟ قال: فعَل ذلك قومك

(1) سورة النحل، من الآية: 53.  
(2) المالكي، محمد، الحج فضائل وأحكام: 257.

ليدخلوا مَنْ شاءوا ويمنعوا مَنْ شاءوا، ولولا أَنَّ قومَكَ حديثٌ عهدُهم بالجاهلية فأخاف أَن تُنكَرَ قلوبهم أَن أَدخلَ الجُدْرَ في البيت وَأَن أَلصقَ بابُهُ بالأرض<sup>(1)</sup>، ومن أبرز فضائل الحجر:

1- أَنَّهُ من البيت، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنْتُ أَحَبَّ أَن أَدخلَ البيت فأصلي فيه فأخذ رسول الله عبيدي فأدخلني الحجر، وقال: [صَلِّي فيه إِن أردتِ دُخولَ البيت فإنَّما هو قطعةٌ من البيت]<sup>(2)</sup>.

2- أَن قبر ذبيح الله اسماعيل وأمه هاجر فيه.

3- أَنَّهُ باب من الجنة، عن الحسن: (أَنَّ اسماعيل شكَا إلى رَبِّهِ حَرَّ مَكَّة فأوحى إليه أَنِّي أفتح لك باباً من الجنة في الحجر، يخرج عليك الرُّوح منه إلى يوم القيامة. والروح بفتح الراء: نسيم الريح)<sup>(3)</sup>.

قلت: ومعنى هذا الأثر صحيحٌ على أرض الواقع إِذ أَنَّ الطائف إِذا اقترَب من الحجر أَحسَّ بنسيم

ارتفاع جدار الحطيم	عرض الجدار	مسافة ما بين المدخلين	من جدار الكعبة إلى جدار الحطيم	الجزء الموجود في الحطيم من الكعبة	مقدار الفتحة جهة الملتزم	مقدار الفتحة المقابلة	طول تدوير الجدار من الخارج
1,32م	1,55	8,77م	8,46م	3م	2,29م	2,23م	21,57م

طَيِّبٌ قويٍّ، وكأَنَّ باباً من نسيم الريح قد فتح عنده، وهذا ما شعرتُ به مراراً. والله أعلم.

وآخر من بنى الحجر بالرخام العثمانيون في عهد السلطان مراد سنة 1040هـ وبقي هذا الرخام حتى العهد السعودي، وعندما عمَّرَ الملك فهذه الكعبة المشرفة رُمِّمَ الحجر وجُدِّدَ رُخامُه من الداخل والخارج بنوع من الرخام الأبيض<sup>(4)</sup>.

وفيما يلي معلومات أخرى عن الحجر<sup>(5)</sup>

(1) البخاري، الصحيح: 573/2، رقم 1507، ومسلم، الصحيح: 973/2، رقم 1333.

(2) الامام أحمد، المسند: 92/6، رقم 24660، والترمذي، الجامع الصحيح: 225/3، رقم 879 وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن خزيمة، الصحيح: 335/4، رقم 3018.

(3) ابن كثير، اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت: ج 1/ص 93.

(4) ينظر: www.makkawi.com

(5) عبد الغني، تاريخ مكة: 49.

## المطلب السادس: عِمَارَةُ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ

هو الحجر الذي قام عليه سيدنا إبراهيمؑ عند ارتفاع بناء الكعبة وغاصت فيه قدماه الكريمتان فأبقى الله أثرهما للناس آية.

عن أنس بن مالك قال، قال عمر بن الخطاب: [وافقتُ ربي في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلًى، فنزلت {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى} (1)...] (2). قلت: وبذلك خُلِدَ أثر سيدنا إبراهيمؑ وفيه إشارة إلى أن كُلَّ من خدم البيت الحرام بصدق أبقى الله أثره على مرّ السنين ولم يُعَفِّه.

وأما أصل المقام فإنه من الجنة بل هو ياقوتة من يواقيتها، قال رسول الله ع: [إنَّ الركنَ والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله تعالى نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب] (3).

وقد توالى الخلفاء والملوك على تجديده وتحليته وتثبيته (4)، ولم أعثر على مَنْ جدّده في العهد العثماني، ولكن وصلتنا صفته ممن رآه في بداية العهد السعودي وهو الشيخ محمد طاهر الكردي الذي فُتِحَ له المقام سنة 1367هـ فوصفه بقوله: لقد وجدنا حجرَ مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مُثَبَّتاً فوق قاعدة صغيرة من الرخام المُرْمَرِ بقدر قياس نفس المقام الشريف طولاً وعرضاً، وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتيمتراً. وأما مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو حَجَرٌ لونه ما بين الصُفْرة والحمرة، وهو إلى البياض أقرب، ويُمكن أن يحمله أضعف الرجال، وهو حجرٌ وليس بصوّان. وأما حجم حجر المقام الكريم فهو يشبه المكعب ارتفاعه عشرون سنتيمتراً، وطول كُلِّ ضلع من أضلاعه الثلاثة من جهة سطحه ستة وثلاثون سنتيمتراً، وطول ضلعه الرابع: ثمانية وثلاثون سنتيمتراً، فيكون مقدار محيطه من

(1) سورة البقرة، من الآية: 125.

(2) البخاري، الصحيح: 1/157 رقم 393، ومسلم الصحيح: 4/1865 رقم 2399.

(3) الإمام أحمد، المسند: 2/213 رقم 7000، وابن خزيمة، الصحيح: 4/219 رقم 2731، وابن حبان، الصحيح: 9/24 رقم 3710.

(4) تنظر التفاصيل: ابن الضياء، تاريخ مكة: 130-131.

جهة السطح 146 سنتيمتراً. وفي الحجر الشريف غاصت قدما خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام مقداراً كبيراً إلى نصف ارتفاع الحجر فعمق إحدى القدمين 10 سم، وعمق الثانية 9 سم. ولم نشاهد أثراً لأصابع القدمين مطلقاً، فقد انمحي من طول الزمن، ومسح الناس بأيديهم، وأما موضع العقبين فلا يتضح إلا لمن دقق النظر وتأمل. وطول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر والفضة 27 سم وعرض كل واحدة منهما 14 سم. أما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما فطول كل واحدة منهما 22 سم وعرض كل واحدة منهما 11 سم، وما بين القدمين فاصل مستدق نحو 1 سم، وقد استدق هذا الفاصل من أثر مسح الناس له بأيديهم، وكذلك اتسع طول القدمين وعرضهما من أعلاهما بسبب المسح أيضاً، وحجر المقام كله ملبس بالفضة الخالصة، فلا تظهر حقيقة الحجر لكن هيئة أثر القدمين واضحة بيّنة لم تتغير ولم تبدل وتبقى كذلك - والله أعلم - إلى يوم القيامة<sup>(1)</sup>.

وهذا وصفه الداخلي، أما من الخارج فقد كانت عليه مقصورة مبنية بمساحة  $3 \times 6 = 18$  م<sup>2</sup><sup>(2)</sup>، وهذه صفة المقام عموماً في بداية العهد السعودي سوى ما حدث في عهد الملك عبد العزيز من إصلاح لمظلة المقام<sup>(3)</sup> سنة 1346 هـ.

وفي عهد الملك فيصل كانت هناك آراء بنقل المقام إلى الخلف ليتسع المطاف، وكانت هناك آراء مخالفة لهذا الرأي فأحيلت المسألة إلى مجلس رابطة العالم الإسلامي وفي عام 1387 هـ صدر بيان من رابطة العالم الإسلامي تقرّر في ضوئه إزالة البناء القديم للمقام أي: المقصورة سالفة الذكر - وجعل المقام في غطاء زجاجي<sup>(4)</sup>، فنقذ ذلك بعد الموافقة الملكية في 18/7/1387 هـ - 1967 م. بحيث وُضع المقام داخل غطاء من الكريستال الفاخر مع حاجز حديدي، وقاعدة رخامية مساحتها الإجمالية  $180 \times 130$  سم = 2,34 م<sup>2</sup> وبهذا توفرت مساحة قدرها 15,6 م<sup>2</sup> في المطاف من مجموع 18 م<sup>2</sup> للبناء السابق<sup>(5)</sup>، وفيما يلي معلومات أخرى عن المقصورة: <sup>(6)</sup>

قطر الغطاء	سمكه	ارتفاعه	ارتفاع	الارتفاع	وزن الغطاء	الوزن الإجمالي	المساحة
------------	------	---------	--------	----------	------------	----------------	---------

(1) بكداش، فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم: 118-119.

(2) ينظر: عبد الغني، تاريخ مكة: 75.

(3) ينظر: السبيل، رعاية الحرمين: 16.

(4) ينظر: السبيل، رعاية الحرمين: 25.

(5) عبد الغني، تاريخ مكة: 75.

(6) المرجع نفسه: 75.

الإجمالية للقاعدة	للمقصورة	النحاسي	الإجمالي للمقصورة	القاعدة			
2,4م <sup>2</sup>	1700 كغم	600 كغم	3م	75 سم	1م	20 سم	80 سم

وقد أزاح الستار عن المقصورة الملك فيصل بن عبد العزيز بَعْدَ عصر يوم

السبت 18/ رجب 1387هـ<sup>(1)</sup>.

ثم أصدر الملك فهد رحمه الله أمره بتغيير الهيكل المعدني للمقام بهيكل نحاسي جديد، وشبكه الداخلي مطلي بالذهب، ومن الخارج زجاج شفاف بسمك 10 ملم مقاوم للحرارة والكسر، فأصبح المقام يرى بوضوح، كما تم تغيير كسوة القاعدة الخرسانية من الجرانيت الأسود إلى رخام أبيض، ومُحلى بجرانيت أخضر ليمائل أرضية المطاف وقد تم الانتهاء من هذا الترميم في 1418/10/21هـ وبتكلفة مليوني ريالاً<sup>(2)</sup>.

وفيما يلي مسافات بين المقصورة وبعض الأطراف<sup>(3)</sup>:

المسافة بين المقصورة والحجر الأسود	بين المقصورة والركن الشامي	بين المقصورة والشاذروان	بين المقصورة وطرف زمزم
14,5م	14م	13,25م	12,05م



صورة  
للمقام  
من  
الداخل  
ويظهر  
فيها أثر  
قدمي  
سيدنا

(1) السبيل، المرجع السابق: 26.  
(2) عبد الغني، المرجع السابق: 75-76.  
(3) المرجع نفسه: 76.

## إبراهيم

قلت: إن هذه العناية المستمرة والعمارة المتتابعة لتؤكد ما أشرت إليه في بداية هذا المطلب من أن مَنْ خَدَمَ بيت الله الحرام أبقى الله أثره على مرّ العصور وتوالي الدهور لأنّ الله سبحانه أبقى أثر سيدنا إبراهيم لأنه خَدَمَ بيته، بل سَخَّرَ لهذا الأثر من يعتني به ويحافظ عليه.

### المطلب السابع: بيوت مكة وشوارعها أولاً: بيوت مكة

قال محمد عمر رفيع: (كانت بيوت مكة في أول القرن الرابع عشر الهجري وما قبل ذلك تُبنى بالحجر والنّورة ويعرف الحجر الذي تبنى به بالحجر الشبيكي، أسود اللون تغتر به نقطٌ بيضاء ضئيلة، وهو حجر صامدٌ للغاية وجُلّ بيوت مكة لا يتجاوز ارتفاعه ثلاث طبقات، وقد يكون منها ذو الأربع والخمس طباق، ومعظم البيوت الضخمة كانت حول المسجد الحرام وعلى مقربةٍ منه. وكانوا في القديم يتغالون في إعلاء عقود أبوابها، حتى يتجاوز العقد الطبقة الأولى وتحاذي سقفها. ولها "رواشين" صغيرة نوعاً ما، لا تتسع لأكثر من أربعة أشخاص جلوساً، وعلى جانبي الروشن طاقةٌ وكانت الرواشين والطبق وكذلك الأبواب تُجلب غالباً من الهند، وتكون مخرّمة على شكل نقوش وأزهار تعطى شيئاً من الزخرف والجمال، وهي مسقوفة في الغالب بأعواد شجر الدوم، وسقوف بيوت أثرياء الأهالي ووجهائهم مُعَتْنى بها بصفائح على شكل طراز حول السقف من خشب الدوم أيضاً، مُحَلّى بنقوش وزخارف مكتوب في بعضها أبياتٌ من قصيدة البردة للأبوصيري، أو أبيات في مدح صاحب البيت، أو وصف البيت والإشادة به، وقد رأيتُ في بعضها مكتوب هذين البيتين:

فَسَمّاً بَمَنْ رَفَعَ السَّمَاءَ بغير طَيِّ واختار خير الخلق من آل لؤي

ماشِدْتُهَا طَمَعَ الخلودِ وَإِنَّمَا

هي زينة الدنيا لحيِّ بَعْدَ حيٍّ<sup>(1)</sup> أَمَا

تقسيم البيوت من حيث الاستعمال فقد بيّنها الأستاذ رفيع بقوله: (وتختص الطبقة الأرضية بمجالس للرجال واستقبال الضيوف يسمونها "ديوان" وهي عبارة عن حجرة واسعة الفتحة بعقد من الحجر، أمامها ردهة مكشوفة، وبعض عقود الإيوانات تُقام من حجر مستورد من قرية الشميسي "الحديبية" يُسمونه "قاحوط" أحمر اللون، تخالطه صفرة، ليّن في النحت عن الحجر الشبيكي الأسود أو مجلس مسقوف بدون ردهة مكشوفة يُسمونه مَقْعَدًا)<sup>(2)</sup>.

ثم أخذ يتغير شكل البناء شيئاً فشيئاً بعد تطوّر الحياة ووسائل النقل فجُلِبَت إلى مكة أنواع الأخشاب من المناشيء العالمية المختلفة (وصارت الرواشن والأبواب تصنع محلياً ومازج شكل البيوت الهندسية التركية واصبح الروشن بعد أن كان صغيراً في وسط جدار الغرفة صار يُصنع روشن كبير بقدر سعة الحجرة، وفيه فتحات تنفتح بتحريك جريدة عامودية)<sup>(3)</sup>.

أما في العهد السعودي فقد أخذ البناء يخطو خطوات واسعة نحو التقدم والتطور، قال الكردي: ثم إنّه منذ سنة 1360هـ سرى العمران في أطراف مكّة كلّها، بل في جميع أنحاء المملكة السعودية سيراً حثيثاً، ومشى بخطى واسعة، فأصبحت العمارات الضخمة والمنازل الجميلة والقصور العظيمة على أحدث طراز بمكة المشرفة، تصل من أعلاها إلى طرف جبل حراء وإلى قرب منى، وتصل من أسفلها إلى قُرب جبل ثور، ومن ناحية الشبيكة تصل إلى ناحية منتهى جرول والطندباوي، وإلى جدة وإلى ناحية الزاهر والشهداء إلى أن تصل بوادي التنعيم موضع إتيان العمرة)<sup>(4)</sup>.

أما المواد الأولية كالحجارة فكانت تُكسّر من جبال مكة وتجلب للبناء على الحمير وبقي هذا الحال إلى سنة 1375هـ (وهي السنة التي وردَ فيها الاسمنت إلى مكة المشرفة بكثرة وافرة، وبعد السنة المذكورة صار الناس يبنون بيوتهم بالإسمنت وأهمّلوا عمارتها بالحجارة، وبذلك بطل تكسير الجبال وأخذ الحجارة

(1) مكة في القرن الرابع عشر الهجري: 21-22.

(2) المرجع نفسه: 22.

(3) المرجع نفسه: 23.

(4) التاريخ القويم: 235/5.



منها للعمارات)<sup>(1)</sup>، وهكذا تغير عمل البيوت إلى الطراز الإفرنجي ولاسيما بعد أن كثرت الأموال وعم الخير والأمن<sup>(2)</sup>.

قلت: ومن زار مكة المكرمة رأى بوضوح مدى الاتساع العمراني الهائل الذي شمل جميع جهاتها حتى علا قمم الجبال، وهذا من علامات الساعة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

قلت: إن هذه النقلة الحضارية العمرانية من البيوت القديمة إلى البيوت الحديثة الفارهة—وهو ما حصل بين أواخر العهد العثماني، وبداية العهد السعودي—هو ما ذكره النبي ﷺ وصرح بأنه أحد أشراط الساعة بقوله: [من أعلام الساعة وأشراطها أن يُعمّر خراب الدنيا، ويُخرّب عمرانها]<sup>(3)</sup>، وفي رواية: [وأُخرّب العامر، وعُمّر الخراب]<sup>(4)</sup>، ومعنى ذلك أن يُخرّب العمران القديم، ويُعاد الإعمار من جديد على صفة حديثة، هذا ما تبين لي من خلال دراسة سابقة<sup>(5)</sup>، ثم عثرت على شرح يطابق ما ذهبتُ إليه، وهو قول الشيخ عبد المجيد الزنداني: (وإذا كانت هناك صعوبة على السابقين في فهم حدوث التخريب للعمران، وعمران الخراب، فإننا نجد اليوم المدن الجديدة تنشأ في الأماكن الخربة غير المعمورة، والمدن المعمورة تُهدم لإعادة تخطيطها، ولا يعني الحديث أن ذلك حرام، إنما يعني أن حدوث هذا علامة على قُرب الساعة)<sup>(6)</sup>.

ومّا يصب في هذا المعنى ويتصل به قول النبي ﷺ عن المدينة المنورة: [آخر قرية في الإسلام خراباً المدينة]<sup>(7)</sup>، فالتطور العمراني والنقلة العمرانية لم تحصل في المدينة إلا بعد أن شملت أغلب المدن الإسلامية ومنها مكة، إذ لم تخرب المدينة القديمة ويُعاد بناؤها إلا في أواخر القرن الرابع عشر الهجري ومطلع القرن الخامس عشر الهجري، في حين حصل ذلك في مكة بعد منتصف القرن الرابع عشر بقليل كما مرّ.

(1) الكردي، التاريخ القويم: 350/2.

(2) ينظر: المرجع نفسه: 346/2.

(3) الطبراني، المعجم الأوسط: 128/5 رقم 4861، والمعجم الكبير: 228/10 رقم 10556.

(4) عبد الرزاق، المصنف: 231/5 رقم 9464، والطبراني، المعجم الكبير: 243/19 رقم 545، والديلمي، مسند الفردوس: 353/5 رقم 8412.

(5) ينظر في ذلك: حمد عبد الكريم دواح، المدينة المنورة في الفكر الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-2006م-1427هـ: ص77-78.

(6) الزنداني، عبد المجيد وآخرون، كتاب توحيد الخالق، ط3، 1397هـ-1977م: ج2/ص128.

(7) الترمذي، الجامع الصحيح: 720/5 رقم 3919 وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان، الصحيح: 179/15 رقم 6776.

وفي القرآن الكريم إشارة تظهر بالتأمل، وتصبّ في هذا المعنى هو قوله تعالى: {حتى إذا أخذت الأرض زُخْرُفَها وازينت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنّ لم تنعن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقومٍ يتفكرون} (1).

وقد ذكر النبي ﷺ صفة هذا العمران الجديد، وهي الطول والتلوين والزخرفة، بقوله ﷺ: [إذا رأيت الحفاة العُراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان] (2) وقوله ﷺ: [لا تقوم الساعة حتى يبني الناس بيوتاً يوشونها وشي المراحيل] (3)، والمراحيل: هي الثياب المخططة (4) والمعنى أنّهم يُبالغون في تلوينها وتحليتها. وهذه العلامة هي من العلامات المحمودة التي تكون قبل قيام الساعة وهي محمودة؛ لأنها علامة على التطوّر الحضاري ولكنها تشير في الوقت نفسه أنّ وقت قيام الساعة قد اقترب. والله أعلم.

## ثانياً: شوارع مكة:

كانت شوارع مكة في العهد العثماني ضيقةً وغير منتظمة، ما عدا شارعاً واحداً يقطعها من جنوبها الغربي إلى شمالها الشرقي، يبدأ من جرول إلى باب العمرة إلى أجياد، ثم المسعى فالقشاشية وسوق الليل إلى آخر مكة بالمعلاة، وعرض الشارع من 8م، ثم 10م، ثم 20م، أي: يتسع ويضيق، وتطلّ عليه عدد من الحارات منها حارة الباب وحارة الشبيكة والسوق الصغير، وسوق الصفا، ثم القشاشية يليها الغزة فالمعلاة، وعن يسار القشاشية المسعى والمروة وباب السلام ويميناً طريق المدعى ثم الجودرية، وهناك طريق من حارة الباب إلى الشامية (5).

وفي بداية العهد السعودي أمر الملك عبد العزيز بشق الطرق وتزفيتّها وحرص على ربط أجزاء البلاد بعضها ببعض بوسائل النقل وفي عام 1355هـ أسندت مسؤولية الطرق إلى مصلحة الأشغال العامة والمعادن التابعة لوزارة المالية، وكان أول طريق مُزفّت هو طريق مكة المكرمة-جدة (6).

(1) سورة يونس، آية: 24.

(2) مسلم، الصحيح: 40/1 رقم 10.

(3) البخاري، الأدب المفرد: 272/1 رقم 777.

(4) التويجري، إتحاف الجماعة: 164/2.

(5) ينظر: www.makkawi.com

(6) ينظر: المقرئ، د. محمد بن سعد، النقل والاتصالات (بحث مطبوع ضمن الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي) مج 2/ القسم الثاني: ص 628.

وفي عام 1372هـ وهو العام الذي تأسست فيه وزارة المواصلات لم يكن مجموع أطوال الطرق يتجاوز 237 كيلو متراً وهي عبارة عن وصلات من الطرق المتفرقة أهمها طريق مكة المكرمة-جدة، ولم يكن يتجاوز عَرْضُه 6م<sup>1</sup>، ثم أنشئت الطرق السريعة والمزدوجة وكان أطولها طريق مكة المكرمة-المدينة المنورة بطول 421 كم<sup>(2)</sup>.

وفي عهد الملك فهد أنشئت كثيراً من الطرق التي كان لها أثر كبير في خدمة مكة المكرمة، وأهمها:  
1- طريق جدة-مكة المكرمة، السريع، الذي نُفِذ بطول 61 كم عام 1402هـ بنفقة إجمالية قدرها 500000000 ريالاً<sup>(3)</sup>.

2- جسر الميناء، وهو أطول الجسور داخل المدن، وقد نُفِذ بطول 12,5 كم عام 1405هـ بنفقة قدرها 612000000 ريالاً، والغرض من هذا الجسر أن يربط ميناء جدة الإسلامي بطريق جدة-مكة السريع<sup>(4)</sup>.

3- طريق مكة الدائري الأول: وقد نُفِذ عام 1402هـ، وقد تمّ إنشاء أربعة أنفاق مزدوجة وذلك بغرض إبعاد الازدحام عن المنطقة المكتظة حول المسجد الحرام وتسهيل حركة المرور داخل مكة المكرمة نظراً لزيادة حركة المشاة بالمنطقة خلال المواسم<sup>(5)</sup>.

4- طريق مكة المكرمة الدائري الثالث بطول 28 كم: نُفِذ في عام 1404هـ بنفقة قدرها 280000000 ريالاً ويهدف إلى ربط طريق جدة-مكة السريع بطريق كُدَي وبالأحياء المختلفة في مكة المكرمة<sup>(6)</sup>.

5- طريق أجياد السّد بطول 1 كم، وبنفقة مقدارها 8,500000 ريالاً؛ لربط أنفاق السيارات القادمة من منى ومحبس الجن بالمسجد الحرام<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: المرجع نفسه: مج2/القسم الثاني: 630.

(2) ينظر: المقري، النقل والاتصالات: مج2/القسم الثاني: 142.

(3) السبيل، رعاية الحرمين: 39.

(4) المرجع نفسه: 39.

(5) المرجع نفسه: 40.

(6) المرجع نفسه: 40.

(7) المرجع نفسه: 40.

6- نفق أجياد- كُدي: بطول 1,6 كم: تم تنفيذه عام 1404 هـ بنفقة قدرها 183000000 ريالاً؛ لربط طريق كُدي بمنطقة أجياد والمسجد الحرام<sup>(1)</sup>.

7- نفق السوق الصغير بجذاء المسجد الحرام بطول 1500 م، والجزء المغطى منه 661 م في مسارين منفصلين للقادمين من غرب مكة وشرقها<sup>(2)</sup>.

قلت: ولا شكَّ أنَّ لمن سعى في إصلاح الطُّرق أجراً عظيماً، وهو صدقة جارية، يجري أجرُها على صاحبها إلى أن ينقطع انتفاع الناس منها، لقوله ع: [إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو وَلَدٌ صالح يدعو له، أو علمٌ ينتفع به]<sup>(3)</sup>، وقد وَرَدَتْ أحاديث تُصَرِّح بأنَّ إمارة الأذى عن الطريق من الحسنات العظام التي توجب لصاحبها دخول الجنة، عن أبي هريرة ع قال: قال رسول الله ع: [مَرَّ رجل بغُصْنٍ شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأُنحِئَنَّ هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فَأَدْخَلَ الجنة]<sup>(4)</sup>، وعن أبي هريرة ع قال: قال رسول الله ع: [لقد رأيتُ رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس]<sup>(5)</sup>.

(1) السبيل، رعاية الحرمين: 40.

(2) المرجع نفسه: 40.

(3) الترمذي، الجامع الصحيح: 660/3 رقم 1376 وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(4) الإمام أحمد، المسند: 521/2 رقم 10763، وأبو يعلى، المسند: 371/11 رقم 6485.

(5) مسلم، الصحيح: 2021/4 رقم 1914.